رابطة الجامعات

تذوق حلاوة القرآن الكريم وسمو بيانه

(آيات خلق السموات والأرض)

تقديم
د. أحمد عمر المختار

عمادة
التوبة

تقديـــم

الدراسات الأدبية التي لها صلة بالقرآن تعد من أرقى الدراسات متعة وفائدة فهي تزيد الفرد المسلم شفافيةً وشعور صلة بالعالم العلوي طاعةً وانشراحاً وعزةً وسمو نفس، وإذا ما أُحسن استخدام العبارة الأدبية في موضوع الدراسة فإنها ستكون بمثابة الجناحين للطائر يحلق بهما القارىء في فضاء من النورانية الأثيرة للنفس، فإذا اللسان مسبّح بعظمة الخالق مبدع الكون.

إن ما في القرآن من الأسرار والعجائب ما يجعلها تملأ ما بين السماء والأرض أو بتعبير آخر تأبى النضوب، أليس القرآن الكريم كلام الله؟! فإذا ما كُشف جانب من هذه الجوانب رأيته مهيمناً على ما سواه بقوة نافذة وحقيقة لا تردّ، فإذا بالأتباع أعزه بهذه العزة، فلا تنحني جباههم إلا لخالقهم وقد حباهم الله التمكين في الأرض.

لقد رافقت بناء هذا البحث خطوة خطوة إرشاداً وتوجيهاً ورأيت المبتدىء في الكتابة كما ينبغي له أن يراجع ويستقصي ويكتب ويعيد ويحذف أو يزيد وإذا ما اتخذ حبه للكتابة وشغفه بها موجهاً لا سواه فإنه لن يصل إلى المبتغى، فلا بد لتمام المعرفة من الخبرة والتوجيه ممن سلك هذا الطريق- من قبل- والإرشاد إلى المراجع المفيدة التي تثري المعرفة وتمده بالزاد المطلوب للوصول إلى الهدف المنشود، فكان الالتزام بهذا كله، وكان من بعده الثمرة التي بدت عليها علامات النضج، وكانت المفاجأة في النهاية أنه بحث قيم يمكن أن يستفاد منه إذا طبع ونشر مما سيشجع على نمو الموهبة ومتابعة الطريق في الخير والعطاء.

والله الهادي إلى سواء السبيل

د. محمد منير الجنباز

المقدمة

القرآن الكريم كلام الله ومعجزته الباقية الخالدة مدى الدهر، نقية جديدة كما نزلت قبل أكثر من أربعة عشر قرناً على النبي محمد ﷺ، وقد تعهد الله بحفظه ﴿**إنَّا نحن نزَّلنا الذكر وإنَّا له لحافظون**﴾، فهو محفوظ من التبديل والتحريف بحفظ الله له وتسخير من يحفظه في الصدور قبل أن يحفظ في المصاحف، لذلك لما استحر القتل في حفاظه في معركة اليمامة، جاء عمر بن الخطاب إلى أبي بكر ونبهه إلى خطورة هذا الأمر وخشي أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفاظه، فكان الرأي أن يجمعوا ما كان مكتوباً منه ومن الصدور، وكلف بذلك زيد بن ثابت، ثم حفظ بعد جمعه عند حفصة أم المؤمنين رضي الله عنهما، وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ وتوسع الدولة الإسلامية مع دخول كثير من غير العرب في الإسلام، ظهر اختلاف في القراءات تنبىء عن قرب حدوث فتنة في هذا الأمر

فعاد حذيفة بن اليمان إلى المدينة ونبه الخليفة عثمان إلى ما يحدث فكان الرأي كتابة ما جمع في بيت حفصة في المصاحف وتوزيعها على مدن الأمصار، وجمع ما سواه وإحراقه، فاجتمع المسلمون على هذا الكتاب الكريم بإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

إن خير وصف قد جمع فأوعى لكتاب الله ما أخرجه الدارمي وكذلك الترمذي عن الحارث، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهُدى في غير أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسِنةُ، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿**إنَّا سمعنا قرآناً عجباً**﴾ هو الذي مَنْ قال به صدق، ومن حَكَم به عدل،

ومن عمل به أُجر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم" رواية الدارمي.

- **معاني الكلمات**:- الفصل: البيان الواضح- قصمه: أهلكه- الزيغ: الميل عن الحق- يخلق: يبلى، لا يمل- الرد: التكرار.

أهمية هذا البحث

كل الدراسات القرآنية بالغة الأهمية، وكلها من أجل خدمة كتاب الله تبارك وتعالى فهماً وشرحاً وتفسيراً وبيان بلاغة وإعجازاً.

وفي هذا البحث سأسلط الضوء على بلاغة القرآن الكريم في خلق السموات والأرض لتتجلى لنا هذه الآيات الكونية بما فيها من بديع الصنع وإحكامه مما يدل على عظمة الخالق عز وجل، وستظهر من خلال الأساليب البلاغية الرائعة والبيان العجيب معاني لم نكن من قبل نحس بها أو نتذوقها لتأخذ باللباب، فقد كنا كثيراً ما نمر على هذه الآيات أثناء تلاوة القرآن الكريم مروراً لا نحس إلا بالتبرك بالكتاب وتلاوته غافلين عن كثير من جوانبه البلاغية المؤثرة في أولي الألباب، ولكن بعد أن امتلكنا الأدوات البلاغية التي تجلو لنا ما غاب عنا من دقيق الفهم ومرمى العبارة وسحرها اختلف الفهم وغدا التذوق أمتع وهزة المعاني للقلب

أوقع فكأن هناك غشاوةً قد زالت بالعلم، وللعقل فهم قد ذكا وتجلى واستعد وتهيأ ليعي ما كان استغلق عليه، فالعلم نور ولكل فن أدواته فإذا ما امتلكها الإنسان أحدث في وجدانه شعوراً بالتفوق والتميز وتوسعت عنده دائرة الرؤية وضاقت أمامه الحجب والفواصل التي تحد من استقبال المعرفة.

ومن خلال بدايات البحث وأنا أقرأ لأختار الموضوع بحثت عن الإبداع في البلاغة في كتاب "خزانة الأدب وغاية الأرب" لابن حجة الحموي، فوجدت ما رغبني في اختيار هذا الموضوع، فقد ذكر آية ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ هود ٤٤- قال: هذه الآية استخرج منها زكي الدين ابن أبي الأصبع أنواعاً كثيرة من البديع، منها:

- المناسبة التامة بين (أقلعي) و (ابلعي).
- والمطابقة اللطيفة بذكر "الأرض" و "السماء".

- والمجاز في قوله تعالى ﴿**ويا سماء**﴾ ومراده "مطر السماء" .

- والاستعارة في قوله (أقلعي) والإشارة في قوله تعالى (وغيض الماء) فإنه عبّر بهاتين اللفظتين عن معان كثيرة.

- والتمثيل في قوله تعالى ﴿**وقضي الأمر**﴾ فإنه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير لفظ المعنى الموضوع له.

- والإرداف في قوله تعالى ﴿**واستوت على الجودي**﴾ فإنه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى.

- والتعليل، لأن قوله تعالى ﴿**وغيض الماء**﴾ علة الاستواء.

- وصحة التقسيم، إذ قد استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه.

- والاحتراس، في قوله تعالى ﴿**وقيل بعداً للقـــــوم**

الظالمين﴾ احتراساً من ضعيف يتوهم أن الهـلاك شمل من يستحق ومن لا يستحق، فأكد بالدعاء على المستحقين.

- والمساواة، لأن لفظ الآية الشريفة لا تزيد عن معناها.
- وحسن النسق، لأن الله تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن ترتيب.
- وائتلاف اللفظ مع المعنى، لأن كل لفظة لا يصلح معها غيرها.
- والإيجاز، لأنه سبحانه قص القصة بلفظة مستوعبة بأقصر عبارة.
- والتسهيم، لأن أول الآية إلى قوله (أقلعي) يقتضي آخرها.
- والتهذيب، لأن مرادات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن، وعليها رونق الفصاحة لسلامتها من التعقيد والتقديم والتأخير.

- والتمكين، لأن الفاصلة مستقرة في قرارها، مطمئنة في مكانها.
- والانسجام، وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء.
- حسن البيان، وهو أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام ولا يشكل عليه شيء من هذا النظام، وهذا الكلام تعجز عنه قدرة البشر.
- وباقي مجموع الآية الشريفة هو الإبداع.

لقد بذلت جهدي لاستيعاب المعرفة الجديدة بالدراسة والجد فاستطعت بعد ذلك تسليط الضوء- على مقدار ما اكتسبت من المعرفة- على ما احتوت آيات الدراسة من الفنون البلاغية التي ستظهر لقارئها نكهة خاصة وحلاوة لم يعهدها من قبل.

رانية

منهج البحث

سوف أتبع في هذه الدراسة المنهج الوصفي القائم على التحليل مع الأخذ بأسلوب الاستقراء والاستنباط وذلك للتعرف على جزئيات الموضوع والربط الصحيح بينها، فمن المعلوم أن البلاغة القرآنية تحتاج إلى البحث والاستقراء لاستنباط الحكم مع القياس الدقيق للأحكام المشابهة للوصول إلى النتيجة الصحيحة.

التمهيد

القرآن الكريم كتاب الله ومعجزته الخالدة في الأرض، وقد تعهد الله بحفظه من التحريف والتزوير ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ الحجر ٩- كما حدث في كتب من سبقنا من أهل الكتاب؛ حيث حرفت كتبهم وفق الأهواء فخرجت عن مضمونها المقدس والتبس على الناس ما فيها من الأوامر أو النواهي فحادوا عن طريق الهدى فضلوا وأضلوا، ولهذا لم يعد في عالمنا من يخبر عن الله تعالى حقاً وصدقاً سوى القرآن الكريم، ولأهمية القرآن عند المسلمين فقد دأب العلماء المسلمون على مر العصور على دراسته وشرحه واستخراج معانيه ومراميه وكنوزه، فمنهم من اتجه للتفسير وآخرون لمعاني مفرداته واستخراج آيات الأحكام ومنهم من اهتم بإعرابه وبلاغته وإعجازه، وكان مسار دراسة الإعجاز وفق ثلاثة مسارات:

- **الإعجاز اللغوي** وهو الذي ركز عليه أهل اللغـــة

والبلاغة حيث تحدى بهذا الإعجاز فصحاء العرب وبلغائهم فتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله أو عشر آيات مفتريات فكان العجز منهم ظاهراً فلم يستطيعوا، ولن يستطيع أحد ذلك مهما بلغ من العلم وامتلاك ناصية اللغة العربية سابقاً كان أو لاحقاً، فالتحدي قائم لا أقول كما قال بعضهم بالصرفة، فالبيان فيه حقيقة ظاهرة وفي كل وقت نظفر باكتشاف معجز جديد.

- **الإعجاز العلمي**، وهو إعجاز لا يقل أهمية عن الإعجاز اللغوي، لإخباره عن الكون والحياة والليل والنهار والفضاء، عن أمور كثيرة ما زال العلم الحديث عاجز عن التوصل إلى تجليتها، وهي تمنح القرآن الصدق بأنه كتاب الله، وقد ذكر صاحب كتاب "من الإعجاز العلمي في القرآن" أهمية هذا الإعجاز فقال: " فإذا كان القرآن الكريم الذي أنزله الله عز وجل منذ نحو أربعة عشر قرناً بلسان عربي قد أذهل العرب سادة اللغة والفصاحة في ذلك الوقت

بما فيه من حلاوة في الأسلوب وبراعة في التشبيهات.. إلا أن الأجنبي الذي لا يتحدث باللغة العربية لا يعي ولا يقدر مثل هذه الأمور في القرآن حق التقدير، وعند ترجمة القرآن بلغات غير عربية فقد تفقد الترجمة كل ما يتميز به القرآن الكريم من إعجاز لغوي؛ بينما يظل الإعجاز العلمي فيه هو السبيل الرئيسي لكي يدرك كل من لا يتكلم اللغة العربية بأن هذا الكتاب هو كتاب الله" ص ١٠.

- **الإعجاز الرقمي**، وقد جاء هذا الاكتشاف متأخراً عن سابقيه، حيث أظهر بعض المشتغلين في هذا الباب، أسرار القرآن العديدة من حيث الحروف والكلمات، ولا تزال هذه الدراسات تحتاج إلى مزيد من الجهد والعلم لتكون دراسة موثقة ذات أثر في تكوين فكرة واضحة عن الإعجاز دون إقحام لبعض الأمور فيما لا يفيد.

وذكر مؤلف كتاب "سر الإعجاز" "أن الإعجاز يأتي من ثلاثة وجوه:

- الإعجاز بالمعاني والتشريع.
- الإعجاز بالإخبار بالغيب.
- الإعجاز بالنظم".

وذكر السيوطي في كتابه "معترك الأقران في إعجاز القرآن" ثلاثة وجوه للإعجاز:

"١- العلوم المستنبطة منه.

٢- أنه محفوظ من الزيادة والنقصان، محروس عن التبديل والتغيير مهما تطاولت الأزمان.

٣- حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحتها ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة".

لذلك فإن باب الإعجاز باب واسع، وموضوعنا "**تذوق حلاوة القرآن الكريم وسمو بيانه آيات خلق السموات والأرض.**

مدخل للبحث

تعريف البلاغة:

- عرفها حامد عوني في كتاب المنهاج الواضح للبلاغة، قال: "البلاغة معناها في اللغة: بلوغ الرجل بعبارته كنه مراده، أي غايته، يقال بَلَغَ محمد بلاغَةً إذا كان يبلغ بعبارته الغاية التي يريدها.

أما معناها في الاصطلاح فيختلف باختلاف موصوفها وهو أحد اثنين- الكلام، والمتكلم- يقال: هذا بليغ، وهذا متكلم بليغ ولا توصف بها الكلمة، فلا يقال: هذه كلمة بليغة لعدم ورود السماع بذلك.

بلاغة الكلام: هي مطابقته لمقتضى حال الخطاب، مع سلامته من العيوب المخلة، بفصاحته وفصاحة إجرائه".

- تعريفها في معجم الرائد لجبران مسعود:

"١- مصدر، بلُغ. ٢- هي أن يكون الكلام مطابقاً لمقتضى الحال مع فصاحته ووصوله إلى غرضه

وانتهائه إلى الغاية".

- وتعريفها في كتاب البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين: "هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فهي، والأشخاص الذين يُخَاطبون. فليست البلاغة إلا فنّاً من الفنون يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ودقة إدراك الجمال، وتبين الفروق الخفية بين صنوف الأساليب. وللمرانة يد لا تجحد في تكوين الذوق الفني وتنشيط المواهب الفاترة".

القرآن الكريم- تعريف:

"قرأ: تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة، مصدر قرأ قراءة وقرآناً. قال تعالى : ﴿**إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾ القيامة ١٧-١٨، أي قراءته، فهو مصدر على وزن "فُعلان" بالضم كالغفران والشكران، تقول: قرأته

قرءاً وقراءة وقرآناً، بمعنى واحد. سمي به المقروء تسمية للمفعول المصدر. وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد- صلى الله عليه وسلم- فصار له كالعلم الشخصي.

أما معناه في الاصطلاح: كلام الله المنزل على محمد- صلى الله عليه وسلم- المتعبد بتلاوته. "فالكلام" جنس في التعريف، يشمل كل كلام، وإضافته إلى "الله" يخرج كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.

و "المنزل" يخرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه، وتقييد المنزل بكونه" على محمد- صلى الله عليه وسلم- "يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما، و"المتعبد بتلاوته" يخرج قراءات الآحاد والأحاديث القدسية- إن قلنا: إنها منزلة من عند الله بألفاظها- لأن المتعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك". مباحث في علوم القرآن- منّاع القطان.

الكريم: بمعنى المكرّم، قال تعالى: ﴿**إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسَّه إلاَّ المطهَّرون**﴾ الواقعة.

تعريف الخلق:

"الخَلْق بفتح الخاء وسكون اللام: ابتداع الشيء على مقام لم يسبق إليه" . كلمات قرآنية- يحيى عبدالله المعلمي.

التعريف ببعض المصطلحات البلاغية التي وردت في هذا البحث:

التشبيه:

بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة. وفي تعريف آخر: هو عقد مقارنة بين شيئين لوجود أمر مشترك يلتقيان عليه، وهذان الشيئان هما "المشبه" الذي يدور حوله الكلام "والمشبه به" الذي يراد موازنة الأول به وربطه معه بسبب من الأسباب أو صفة من الصفات تدعى "وجه الشبه" وأداة توضح هذا الرابـــط "أداة الشبه".

المجاز اللغوي:

هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقةٍ مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

الاستعارة:

هي تشبيه حُذِفَ أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائماً وهي قسمان:

١- تصريحية: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به.

٢- مكنية: وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه.

المجاز المرسل:

كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

الكناية:

لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى.

إيجاز أو القصر:

جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل مع الإبانة والإفصاح، وهو نوعان:

١- إيجاز القِصَر: ويكون بتضمين العبارات القصيرة معاني قصيرة من غير حذف.

٢- إيجاز الحذف: ويكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف.

الإطنـــــاب:

زيادة اللفظ على المعنى لفائدة وكذلك زيادة في الوصف.

الجناس:

أن يتشابه اللفظان فيه النطق ويختلفا في المعنى، وهو نوعان:

١- تام: وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة: نوع الحروف، شكلها، عددها، وترتيبها.

٢- غير تام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة.

السجع:

توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر، والفاصلة هي الكلمة الأخيرة من جملة مقارنة لأخرى، وتسمى كل واحدة من هاتين الجملتين "قرينة" لمقارنتها لأخرى، كما تسمى "فقرة".

السجع المرصع:

ما كان فيه ألفاظ إحدى القرينتين كلها أو جلها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى في الوزن والتقفية.

مراعاة النظير:

وهو عبارة عن الجمع بين المتشابهات، ويسمى التناسب والائتلاف، وهو أن يجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد.

التورية وتسمى الإيهام :

أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان، قريب ظاهر غير مراد، وبعيد خفيّ هو المراد .

الطباق:

الجمع بين الشيء وضده في الكلام.

المقابلة:

أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب. وقال في الإيضاح: وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما. وهي نوع من الطباق.

أسلوب الحكيم:

تلقِّي المخاطَب بغير ما يترقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤالٍ لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، إشارة إلى أنه كان ينبغي أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى.

اللف والنشر:

هو أن يذكر متعدد، ثم يذكر ما لكل واحد من آحاده من غير تعيين اتكالاً على أن السامع يرد إلى كل ما يليق به لوضوح الحال.

التقسيم:

هو أن يذكر متعدد، ثم يضيف إلى كل من آحاده ما يخصه على التعيين وبهذا القيد يفترق عن اللف والنشر إذ لا تعيين فيه .

الجمع:

هو أن يجمع بين شيئين فأكثر في حكم واحد.

حسن التعليل:

هو أن يدعى لوصف (على جهة التظرف) علة مناسبة ليست له في الواقع.

ائتلاف اللفظ مع المعنى:

هو أن تكون الألفاظ على وفق المعاني، فتختار الألفاظ الجزلة، والعبارات الشديدة للمعنى الضخم كالفخر والحماسة، وكالوعيد والتهديد وتختار الألفاظ اللينة العود، الناعمة الملمس للمعنى الوديع الهادىء كالغزل، والاستعطاف، والاعتذار، ونحو ذلك من المعاني العاطفية.

الالتفات:

هو نقل الكلام إلى أسلوب آخر، فيكون مثلاً جارياً بأسلـــوب الخطاب فينقل إلى الغيبة أو المتكلم، أو العكس.

الإيهام:

وهو أن يكون للفظ استعمالان: قريب وبعيد، فيذكر لإيهام القريب في الحال إلى أن يظهر أن المراد به البعيد، وهو نفسه التورية.

- **التفويت:** هو إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح أو الوصف وكل فن في جمل منفصلة مع تساوي الجمل في الزنة.
- **العنوان:** أن يذكر في الكلام ألفاظاً تكون مفاتيح لعلوم ومداخل لها. وهو أيضاً أن يشفع كلامه بأمثلة توضيحية.
- **التدبيج** : معناه النقش والتزيين، وهو نوع مـــــن الطباق في ذكر الألوان- ما عدا الأبيض والأسود- على سبيل التورية أو الكناية.

- **الاكتفاء:** وهو أن يقتضي المقام شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة.
- **الاختزال:** وفيه حذف لاسم أو حرف أو فعل أو أكثر.
- **المبالغة:** وصف الشيء حتى يبلغ أقصى غاياته وأبعد نهاياته.

الفصل الأول

بدء خلق السموات والأرض

المبحث الأول: آيات مختارة في خلق السماوات والأرض:

لعل من الأولى- بعد استعراض الآيات- أن يكون بدء البحث عن بدء خلق السموات والأرض ليكون التسلسل منطقياً:

* ففي سورة الأنبياء تكون البداية، قال تعالى ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾ ٣٠- قال في تفسير الكشاف: "قلت: الرتق صالح أن يقع موقع مرتوقتين لأنه مصدر، فما بال الرتق؟ قلت: هو على تقرير موصوف، أي كانتا شيئاً رتقاً" وعند القرطبي: "ذواتي رتق، ومعنى ذلك: أن السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما، أو كانت السموات متلاصقات، وكذلك الأرضون لا فُرج بينها ففتقها الله وفرّج بينها" هذا قول.

لقد عبر بالمصدر "رتقاً" وذلك لإفادته العموم وهو

يصح مع المفرد والمثنى والجمع، ثم فتقهما الله وفصلهما، والرتق: ضم هذه لتلك لتبدو واحدة، كما أن دلالة لفظ الفتق أقوى من دلالة لفظ الفصل، ويستعمل اللفظان في مهنة الخياطة، فالرتق ضم قطع الثوب بعضه لبعض وفق هندسة معينة يتم فيها تشكيل الثوب وكذلك الفتق عودة القطع كما كانت قبل الرتق، واستخدام كلمة "الفصل" قد يدخل قطعاً من هذه في تلك لأنه سيكون مثل قطع السيف للأشياء على استقامة واحدة وهذا غير المراد والمشاهد في الأرض، وفي هذه الآية استعارة توضيحية لتقرير المراد والصورة إلى الخيال لأن الأمر غيبي وإخبار الله لنا عن هذا الأمر ينبغـــي تصديقه على كل حال، كما فيها من أنواع البديع:

- الطباق بين رتق وفتق، وهما متـــضادان، واختيـــار الكلمتين (الرتق، الفتق) يدل على أن السموات والأرض وإن كانتا في حالة الرتق إلا أنهما لم تكونا منصهرتين بعضهما ببعض وإنما خلقهما الله معاً على أن تفصـــلا

وفق إرادته فيما بعد ولكل منهما ميزتها وخاصتها، وإلا لكان التعبير عنهما بالوحدة، أي كانتا شيئاً واحداً، وهاتان اللفظتان دليل إعجاز القرآن في دقة التعبير والله أعلم.

والقول الثاني في تفسير الآية: أن السموات كانت رتقاً لا تمطر ففتقها الله بالمطر، والأرض كانت رتقاً لا تنبت ففتقها الله بالنبات، ودليلهم ما جاء بعدها إشارة إلى ذلك ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾ كما عبر عن الجمع بالتثنية ﴿**كانتا رتقاً**﴾ وذلك إما للدلالة عنهما قبل الفصل ثم فتق كلاً منهما سبعاً، وكذلك قوله ﴿**كانتا**﴾ وهما قبل الفصل شيء واحد فكيف ثناهما؟ واستعمال هذا الأسلوب في البلاغة يسمى: على ما سيكون عليه الحال، أو ما سيكون المآل إليه.

* وفي سورة الملك تأكيد على حدوث الفتق في السماء لتكون سبع سموات ﴿**الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور**﴾ وهنا جعل الصفة للموصوف مراعياً

الفتح فيه توجيه النظر إلى العدد وإلى قدرة الخالق على جعلها طبقات بعضها فوق بعض مع مساحات شاسعة بعيدة، بينما وفي سورة يوسف ﴿**سبع بقرات سمان**﴾ وصف المضاف إليه للفت الانتباه تجاه وصف البقرات بالسمان، وفي سورة (ق) الانتقال من طور الخلق الأولى إلى طور أرقى ﴿**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ**﴾ ٦- فالطلب إلى الخلق بالنظر لما أوجده الله يفيد:

- الالتفات وتنبيه الناظر إلى القدرة والعظمة والمهارة والإتقان في الصنع وفي كلا الآيتين:

- فإن الاستفهام استنكاري يفيد التوبيخ- كما ذكر في كتاب الإتقان- لغفلتهم عن هذا الأمر وختمت الآية بكلمة ﴿**فروج**﴾ وفيها:

- مراعاة للفواصل في السورة، وهذا من الإعجاز البياني، ففي سورة الملك راعى الفواصل في كلمة ﴿**فطور**﴾ وكلاهما تفيد التشقق أو العيب في الصنعة، فكان التنويع في المترادفات مراعاةً للفواصل في كـــل

سورة، وورد في فتح القدير للشوكاني "أن الفطور: تعني الشقوق والصدوع والخروق، كما ورد فيه الفروج: تعني الفتوق والشقوق والصدوع".

* وفي سورة الذاريات ﴿**والسماء ذات الحبك**﴾ أقسم الله بالسماء ذات الحبك، لأهمية القسم به فما معنى الحبك؟

الحبك: كما ورد في القاموس المحيط:" الشدة والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب، والبناء الوثيق القوي، وحبك الثوبَ: إذا أتقن صنعه"، وفي تفسير ابن كثير عن ابن عباس "الحبك: ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء، وفيه أيضاً عن الضحاك والمنهال بن عمرو وغيرهما: مثل تجعد الماء والرمل والزرع إذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضاً طرائق طرائق فذلك الحبك".

وفي الآية من البلاغة:

- استعارة، حيث استعار كلمة الحبك لوصف بناء السماء وإتقانه من الثوب المحبوك الذي تأمله المتأمل لم يجد فيه عيباً، وفي السورة نفسها أكد

على بنائها وقوتها بقوله ﴿**والسماء بنيناها بأيد وإنَّا لموسعون**﴾ وفيها:

- مجاز مرسل على رأي من قال في القرآن مجاز، فالأيدي بمعنى القوة، وسمي الإيهام ويدعى التورية، قال في الإتقان: ﴿**والسماء بنيناها بأيدٍ**﴾ فإنه يحتمل الجارحة وهو المورّى به، وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان، ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود"، وأما السعة فتوحي إلى عظمة الباني إذا علمنا أن العلم في هذا العصر قد عجز عن إعطاء رقم حقيقي لهذه السعة، لا أقول سعة السموات السبع ولكن سعة السماء الدنيا- وسنذكر موجزاً لما توصل إليه العلم في هذا الشأن عند الحديث عن النجوم والكواكب، وكلمة ﴿**موسعون**﴾ تدل على تعاظم الكون واستمرار سعته وهذا من الإعجاز الرباني في خلق الكون.

* وفي سورة البقرة ٢٢ هيأ الله السماء والأرض لصالح الإنسان وخيره بعد إتمام تشكيلهما ﴿**الَّذِي جَعَلَ**

لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ﴾ قال القرطبي: "جعل بمعنى صير لنصبها مفعولين، وفراشاً أي وطاء يفترشونها ويستقرون عليها، والسماء بناء: السماء للأرض كالسقف للبيت، وقد جعل الله تعالى السماء مستودع المطر يغيث به البلاد والعباد، كما جعل الأرض مستودع الإنبات، فالسماء تروي والأرض تنبت وهذا لصالح الإنسان وما على الأرض من أحياء".

وفي الآية من البلاغة الآتي:

- ورد في كتاب البلاغة العربية: "ومن الطباق المعنوي قوله تعالى ﴿**جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء**﴾ طابق بين الأرض والسماء طباقاً لفظياً ظاهراً، ولكنه طابق بين الفراش والبناء طباقاً معنوياً لأنه لما كان البناء رفعاً للمبني قوبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء؛ أي الفراش خفض والبناء رفع". ص ٢٧٤.
- استعارة، حيث استعار للأرض كلمة الفراش، ليدلل

على انبساطها وإراحتها للإنسان واستقرارها به، أو على قولٍ آخر بأنها تشبيه مؤكد حذف منه أداة الشبه قياساً على ما ذكره الدكتور وليد قصاب عن آية ﴿**ألم نجعل الأرض مهاداً**﴾ ص ٧٤ السابق.

- كما ذكرت هذه في كتاب الإتقان أنها تفيد التعليل "فإن النفوس أبعث على قبول الأحكام المعللة من غيرها ومما يقتضي التعليل لفظ (الحكمة) كقوله تعالى: ﴿**حكمة بالغة**﴾ وذكر الغاية من الخلق نحو قوله تعالى: ﴿**جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء**﴾ ص ٦٢٩ فكان تعليل خلق الأرض والسماء.
- وفي ﴿**فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم**﴾ اختصار مراحل الإنبات بذكر النتيجة من إنزال المطر وهذا من المجاز المرسل على اعتبار ما سيكون المآل إليه.

المبحث الثاني: آيات مختارة في خلق السموات والأرض بالحق وليس للهو واللعب.

* ففي سورة العنكبوت، قال الله تعالى ﴿**خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ ٤٤- قال في تفسير ابن كثير (إن الله خلق السموات والأرض بالحق، يعني لا على وجه العبث واللعب، وهناك آيتان تذكران صراحة هذا المعنى، في سورة الأنبياء، وسورة الدخان ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ الدخان ٣٨-٣٩، وعليه فإن في الآية من البيان القرآني ما يشير إلى عظمة الخالق وجدية الأمر في خلق السموات والأرض والتوجيه إلى أخذ الأمور بالجد والإتقان وأن الإنسان مؤاخذ من أعماله إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً.

المبحث الثالث: آيات مختارة في مدة خلق السموات.

وباعتبارنا أفردنا هذا الفصل لذكر نشوء الكون فإنه من المكمل لهذا الفصل ذكر مدة خلق السموات، فقد استغرقت كما أراد الله يومين من أيام الله (﴿**فَقَضَاهُنَّ**

سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ فصلت ١٢- آية في منتهى الجمال.

فيها من البلاغة:

- الالتفات حيث انتقل من ضمير الغائب ﴿**فقضاهنَّ**﴾ إلى ضمير المتكلم (**وزينَّا**) .
- الاستعارة، حيث استعار كلمة مصابيح للنجوم.
- وفيها من البيان القرآني الجمع، وقد جمع بين الزينة التي هي في المصابيح والحفظ التي هي مهمة لرجم الشياطين منعاً لاستراق السمع.
- الفاصلة ومجيئها ﴿**ذلك تقدير العزيز العليم**﴾ لتمكين المعنى، فالعزة والقوة: للبناء والتزيين، والعلم: بحال عددها ومدة خلقها وأمر حفظها.

الفصل الثاني

توابع السماء والآيات الكونية المتعلقة بها

المبحث الأول: آيات مختارة في خلق السماء وما يتبعها من أجرام سماوية وبروج.

بعد الكلام عن بناء السماء وبدء التكوين واكتمال عظمة الكون وبهائه؛ يأتي الكلام عن توابع السماء وما يحدث فيها من جريان الشمس والقمر وحدوث الليل والنهار على الأرض واليوم والليلة والشهر والسنة وبعض الظواهر الكونية.

إن أول ما يلفت الانتباه لصنع الله تعالى في السماء هي ظاهرة الشمس والقمر، والليل والنهار، قال الله تعالى ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ الأعراف ٥٤- قال في تفسير ابن كثير: "يخبر الله تعالى أنه خالق العالم سماواته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام

وهي: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، وفيه-أي يوم الجمعة- اجتمع الخلق كله، وفيه خلق آدم عليه السلام، واختلفوا في هذه الأيام هل كل يوم منها كهذه الأيام كما هو المتبادر إلى الأذهان؟ أم إن كل يوم كألف سنة كما نص على ذلك مجاهد والإمام أحمد بن حنبل.. فأما يوم السبت فلم يقع فيه خلق لأنه اليوم السابع ومنه سمي السبت وهو القطع، وأما قوله في الاستواء فقد سلك مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل.. إلى أن يقول: فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله النقائص فقد سلك سبيل الهدى، وأما قوله يغشي الليل النهار.. أي: يذهب ظلام هذا بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا، وكل منهما يطلب الآخر طلباً حيثياً أي سريعاً لا يتأخر عنها.. ثم إن الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته، أي له الملك والتصرف. أ. هـ".

وفي أمر الاستواء قال القرطبي في تفسيره: "والأكثر من المتقدمين والمتأخرين أنه إذا وجب تنزيه الباري سبحانه عن الجهة والتحيز فمن ضرورة ذلك ولواحقه اللازمة عليه عند عامة العلماء المتقدمين وقادتهم من المتأخرين تنزيهه تبارك وتعالى عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم؛ لأنه يلزم من ذلك عندهم متى اختص بجهة أن يكون في مكان أو حيز، ويلزم على المكان والحيز الحركة والسكون للمتحيز، والتغير والحدوث، هذا قول المتكلمين، وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله. ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة وخص العرش بذلك لأنه أكبر مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته، قال مالك: الاستواء معلوم- يعني في اللغة- والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة. أ. هـ ".

* وفي سورة النحل ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ**

﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٢- تأكيد على تسخير ما في الكون لأجل الإنسان ومصلحته وسعادته، فالإنسان لا يهنأ أو يسعد إلا بوجود الليل والنهار؛ أحدهما للراحة والنوم الذي لا بد للإنسان منه، والآخر للسعي والعمل لتأمين الرزق في جو من الإضاءة والنور وهي أيضاً ضرورية للحيوان والنبات، وكذلك تسخير النجوم للاهتداء بها كما هو الحال في نجم القطب الذي يدل على الشمال وقد لا يعرف إلا من خلال مجموعة الدب الأكبر أو غيرها من المجموعات التي تدل عليه، وكوكب الزهرة الذي يظهر في الغرب مع غروب الشمس وإلى ما بعد العشاء بقليل وفي أوقات يظهر في الشرق قبل الفجر ويختفي مع طلوع الشمس.

وفيها من البلاغة:

- الطباق، وهو من المحسنات اللغوية، بين الليل والنهار.

تقديم الأهم على المهم كما في ترتيب الشمس والقمر في التسخير، ولارتباط الشمس والقمر بالليل والنهار

وفوائدهما الواضحة للإنسان، والأرض كان العطف، ثم قطع العطف لتغاير فوائد النجوم، وهناك قراءات بالعطف وهو دليل ارتباط هذه الأجرام بعضها ببعض في منظومة متكاملة مسخرة لصالح الإنسان والأرض التي يعيش عليها، وقد وضحت الآية ١٦ من السورة نفسها ﴿**وعلامات وبالنجم هم يهتدون**﴾ تجليةً أكثر لفوائد النجوم، ثم تأتي الفائدة بشكل مفصل بالنسبة للإنسان في سورة الأنعام ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ ٩٧- فإذا أحاط الظلام بالمسافر وأطبق عليه الليل بحندسه في يوم غاب فيه القمر؛ تاه في هذا الظلام ولم يعد يعلم شرقه من غربه ولا شماله من جنوبه فليس له بعد ذلك إلا النظر في السماء بإمعان ليتبين موقعه ويحدد خط سيره، يقول صاحب كتاب "من الإعجاز العلمي في القرآن : " وإذا كانت العين المجردة يمكن أن تشاهد ٢٠٠٠ نجم في ليلة سماء صافية، فإن الفلكي يمكن أن يشاهد في الوقت نفسه أكثر من ألف مليون نجم بواسطة المرقب الفلكي المطور" ص ١٤٤،

فمعنى هذا أن المسافر العادي يرى ما يكفيه للاسترشاد إلى الوجهة الصحيحة.

وفيها من البلاغة:

- طباق بين البر والبحر مع سجع لطيف وهذا من خصائص القرآن الكريم علو العبارة وطلاوتها وجرسها، فلم يقل: بين اليابسة والماء.
- مناسبة الفاصلة القرآنية، حيث خاطب من له علم بالأسفار وتذكيرهم بصنع الله وتيسير الأمر للإنسان لكي يسير على هدى ليتبع بعد هذا التذكير الهدى الأعم وهو الإيمان بالله خالق هذا الكون وهذا هو الأسلوب الحكيم في الدعوة المتبع مع فئة خاصة في الفهم.
- الالتفات، من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم (وهو الذي جعل.. قد فصلنا).

• وفي سورة الطارق ﴿**النجم، الثاقب**﴾ أي المضيء الذي يثقب نوره فيخرق السموات فينفذ حتى يُرى في الأرض، وللعلم الحديث قول آخر فيه، فقد ورد في

الموسوعة الكونية الكبرى ما يلي: "فالطارق هو جرم سماوي له صفتان: وهما ﴿**النجم الثاقب**﴾ ولو قارنا بين تلك الخواص وأي جرم سماوي لوجدنا أن النجم النيوتروني يستوفي هذه الخواص؛ نجم وطارق وثاقب.. له نبضات وطرقات منتظمة تلك البيانات التي نقلها لنا اللاسلكي والتي كان مصدرها النجم النيروتروني، وقد توصل العلماء إلى أن النجم له نبضات سريعة لسرعة دورانه وسرعة طاقته.. وأن النجم النيوتروني العجوز له إشارات بطيئة على فترات أطول وذلك عندما تقل طاقته وتنقص سرعة دورانه، فسبحان الله العظيم حين خص هذا النجم بالثاقب وأقسم به فمن عظمة القسم ندرك عظمة المقسم به، فكثافة النجم الثاقب النيوتروني أعلى كثافة معروفة للمادة، ووزنه يزيد عن وزن الكرة الأرضية برغم صغر حجمه، فهو ثاقب.. قال أحد العلماء: إن هذا النجم الثاقب على صغر حجمه إذا اصطدم بالأرض أو بأي كوكب آخر أو حتى بالشمس فإنه يثقب ما يصطدم به من أوله إلى آخره.. وقدر عدد

النجوم النيوترونية في مجرتنا بمائة ألف نجم. أ. هـ) عن الموسوعة الكونية الكبرى- ماهر أحمد الصوفي- مجلد ٢- ج٣-٤ - ص ٣٥٩ ﴿**والسماء ذات الرجع**﴾ أي ذات المطر ترجع كل سنة بمطر بعد مطر- نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي العلم الحديث:

- تقوم الطبقة الأولى من الغلاف الجوي (التروبوسفير) بإرجاع بخار الماء إلى الأرض على شكل أمطار، وبإرجاع الحرارة إليها أيضاً في الليل على شكل غاز ثاني أكسيد الكربون.
- يعتبر الغلاف الجوي للأرض درعاً واقياً عظيماً يحمي كوكب الأرض من الشهب والنيازك والإشعاعات القاتلة للأحياء وذلك بفضل الطبقة الخامسة من طبقات الستراتوسفير.
- تعتبر الطبقة الرابعة من طبقات الغلاف الجوي وهي الثيرموسفير ذات رجع؛ فهي تعكس موجات الراديو القصيرة والمتوسطة إلى الأرض.

وعليه فمعطيات العلم الحديث عن الرجع كانت في إعادة الماء أي المطر، وإعادة حرارة الأرض مساء عن طريق غاز الكربون، وفي حفظ الأرض من النيازك وفي موجات الراديو.

البلاغة:

- وَصْفُ السماء بالمصدر بأنها ذات الرجع دليل استقرار الأمر على هذا.
- تشبيه بليغ، حيث فقدت الأداة ووجه الشبه ﴿**والسماء ذات الرجع**﴾.

* وفي سورة الواقعة ٧٥- أقسم الله تعالى بمواقع النجوم ﴿**فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾ وللقدماء كان مجرد النظر إلى السماء أن يدركوا عظم هذا الكون وسعته وامتداده وما فيه من نجوم وكواكب ومجرات، لكن في العصر الحديث تكلم العلماء عن سعة الكون بالأرقام التقريبية وهي سعة رهيبة لا يمكن أن يتصور مداها عقل، قال صاحب كتاب معارج التفكر ومدارج التدبر: "ولا نعرف بصورة

تقريبية مواقع النجوم، حتى ندرك عجزنا عن تصور الأبعاد السحيقة في السموات التي فيها نجوم هي من خلق الله عز وجل وخاضعة له جل جلاله، ومسيّرة ومسخّرة بأمره، وحتى ندرك أن الكون في اتساع مستمر، يقول علماء الفلك:

- إنه يوجد ما يزيد على ٢٠٠ بليون من النجوم.
- الشمس ليست إلا نجماً متوسط الحجم، وقطرها أكبر من قطر الأرض بـــ "١٠٩" مرة.
- بعض النجوم العملاقة قطره أكبر من قطر الشمس بألف مرة، وهي لبعدها السحيق في أبعاد الكون تظهر لأعيننا في الأرض مثل نقطة من ضوء بمقدار العدسة.
- أقرب نجم إلينا غير الشمس يبعد عن الأرض أربعين مليون مليون كيلو متر.
- النجوم التي نراها في الليل خليط من نجوم قريبة معتمة ونجوم بعيدة مضيئة جداً.

- النجوم في السموات لها حركات في مدارات لها.
- النجوم في السموات تتجمع في وحدات وكل تجمع منها خاضع لنظام واحد يدعى "مجرة"، وفي السموات ما يزيد على بليون مجرة.

وفي مجرتنا التي فيها أرضنا وشمسنا والكواكب التسعة التابعة لها والتي تدعى "درب اللبانة" ما يزيد على مائة بليون نجم، وقطر مجرتنا هذه يقدر بمائة ألف سنة ضوئية علماً بأن الضوء يقطع في الثانية الواحدة ٣٠٠ ألف كيلو متر.

ثم يقول: من هذه الفقرات التي التقطها من بحوث مستفيضة عن النجوم ندرك أن المراد بمواقع النجوم أمران:

١- مواقع بعدها السحيق في السموات وإدراك هذا يفوق قدرات التصور البشري.

٢- المواقع التي يسقط فيها كل نجم ضمن حركته المنتظمة في مداره من مجرته التي هو فيها، والتي لا يخرم فيها كل نجم موقعة المحدد له على

ما قدر الله له وقضى فبالنظر إلى سرعة حركة النجوم يعتبر كل موقع يصل إليه مسقطاً من مساقطه" ص ٥٠٥-٥٠٦.

وبعد هذا البيان عن عظمة الكون الذي يدل على عظمة الخالق سأذكر ما في هذه الآية من بلاغة:

- استعارة حسية حيث شبه الليل بالستارة التي إذا غَشِيت الشيء حجبته.
- طباق بين الليل والنهار.
- استعارة حسية حيث شبه الليل بالغريم والنهار بالغارم فراح الأول يطلب الثاني بقوة وبلا كلل.
- الدلالة على عظمة الخالق في تسخير الشمس والقمر والنجـــوم لأمره وإضفاء الحياة عليها لتسمع وتطيع.
- الإطناب حيث أطنب في وصف السماء وما فيها، بينما أوجز في سورة ق ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ**﴾ ٣٨ .

- التأكيد والتحقيق بحرف (إنّ) على عظمة الله وقدرته وأن كل ما في السموات والأرض ملكه سبحانه، فختم الآية تأكيداً لذلك بقوله : ﴿**تبارك الله رب العالمين**﴾.

والله تعالى جميل يحب الجمال لذلك أراد لهذا الكون أن يكون في غاية الحسن والجمال فكانت النجوم والكواكب زينة لهذه السماء إضافة لغرضها في الإرشاد والهداية للمسافرين وفي حساب الأيام والسنين.

- وفي سورة الصافات، قال الله تعالى: ﴿**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلأِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ**﴾ الصافات ٥-١٠، ورد في تفسير هذه الآيات ما يلي: "يخبر الله تعالى أنه رب هذا الكون الفسيح سماواته وأرضه ومشارقه وأنه بديع في صنعه لذلك أتقن كل شيء خلقه فزين السماء الدنيا للناظرين

إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب.. فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوءُها جرم السماء فتضيء لأهل الأرض ﴿**وحفظاً**﴾ تقديره وحفظناها حفظاً ﴿**من كل شيطان مارد**﴾ يعني التمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه.. ﴿**لا يسمعون إلى الملأ الأعلى**﴾ أي لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى وهو السموات ومن فيها من الملائكة إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى مما يقوله من شرعه وقدرته.. ﴿**ويقذفون**﴾ يرمون ﴿**من كل جانب**﴾ من كل جهة يقصدون السماء منها ﴿**دحوراً**﴾ رجماً يدحرون به ويزجرون ويمنعون من الوصول إلى ذلك ﴿**ولهم عذاب واصب**﴾ أي في الدار الآخرة لهم عذاب موجع مستمر.. ﴿**إلاَّ من خطف الخطفة**﴾ أي إلا من اختطف من الشياطين الخطفة وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها للذي تحته ويلقيها الآخر للذي تحته فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكاهن.. ﴿**فأتبعه شهاب ثاقب**﴾ أي مستنير" ملخص عن تفسير ابن كثير.

البلاغة:

- الاكتفاء نوع من المجاز حيث حذف "ورب المغارب" لاكتفائه بذكر الأول عن الثاني لما بينهما من التلازم والارتباط، وكذلك الاكتفاء في ذكر الكواكب اكتفاء بها عن النجوم لأنها معروفة عند العرب فذِكرُ الأخص يشمل الأعم.
- استعارة حسية حيث استعار للسماء الزينة التي غالباً هي للعروس لإضفاء الجمال.
- في زينا وزينة، فهي من المحسنات اللفظية، وتندرج تحت بند مراعاة النظير من حيث الائتلاف والتناسب وعدم التنافر، فالكواكب بدل "بزينة" فجاءت لتحسين اللفظ وطلاوة العبارة، سواء قرئت الكواكب بالجر أو النصب، فهي بدل على المحل في قراءة النصب.
- الاختزال، وهو نوع من المجاز؛ حيث عطف المصدر حفظاً على زينا على تقدير محذوف "وحفظناها حفظاً".

- الأسلوب المسجوع في القرآن ﴿**عذاب واصب**﴾ ولم يقل كما في آيات أخر: اليم، شديد، مراعاة لحلاوة الجرس وحسن الإيقاع مع ما قبلها ﴿**من كل جانب**﴾ وما بعدها ﴿**شهاب ثاقب**﴾.
- والآيات المذكورة في جملتها حول السماء وما فيها داخلة في الإطناب وفيها من الفائدة الدلالة على عظيم صنع الله وتقوية الإيمان عند المؤمنين وتحقير الشياطين.

المبحث الثاني: آيات مختارة عن الشمس والقمر والحساب والسنين والأشهر والأيام والليل والنهار.

* في سورة الأنعام نموذج آخر مما خلق الله تعالى في الكون وبيان فوائده، قال تعالى: ﴿**فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾ ٩٦-٩٧، وقد ورد في تفسير هاتين الآيتين ما يلي: "كما أنه فالق الحب والنوى كذلك هو فالق ظلمة الليل

الداجي الشامل لما على وجه الأرض بضياء الصبح الذي يفلقه شيئاً فشيئاً، حتى تذهب ظلمة الليل كلها ويخلفها الضياء والنور العام.. ولما كان الخلق محتاجين إلى السكون والاستقرار والراحة التي لا تتم بوجود النهار والنور؛ جعل الله الليل سكناً يسكن فيه الآدميون إلى دورهم ومنامهم، والأنعام إلى مأواها والطيور إلى أوكارها فتأخذ نصيبها من الراحة.. وجعل تعالى الشمس والقمر حسباناً بهما تعرف الأزمنة والأوقات فتضبط بذلك أوقات العبادات وآجال المعاملات ويعرف بهما مدة ما مضى من الأوقات.. ومن الأدلة العقلية على إحاطة علمه؛ تسخير هذه المخلوقات العظيمة على تقدير ونظام بديع تحير العقول في حسنه وكماله وموافقته للمصالح والحكم، وحين تشتبه عليكم المسالك ويتحير في سَيْرِهِ السالك، جعل الله النجوم هداية للخلق إلى السبل التي يحتاجون إلى سلوكها لمصالحهم وتجاراتهم وأسفارهم، منها نجوم لا تزال تُرى ولا تسير عن محلها ومنها ما هو مستمر السير يعرف سَيْره أهل المعرفة بذلك ويعرفون به

الجهات والأوقات" نقلاً عن تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

البلاغة:

- فالق الإصباح: استعارة تبعية مكنية، حيث استعير لها هذا التشبيه من عملية فلق الحب والنوى، ففي الحب والنوى فلقتان وبينهما رشيم إذا غذيت النواة بالماء والتربة نبت الرشيم وتغذى أولاً من الفلقتين إلى أن يضرب بجذره الأرض فيتغذى منها، وعليه فينبت من بين الفلقتين وريقات هي أصل النبات، وهنا قام مقام الفلقتين الليل والنهار فخرج من بينهما الإصباح فأخذ شيئاً من ظلمة الليل وشيئاً من ضوء النهار فكان وسطاً.
- وجعل الليل سكناً؛ تشبيه بليغ حيث شبه الليل بالسكن أو السكون.
- وفيه أيضاً الاكتفاء وهو من المجاز، حيث اكتفى بالليل ولم يذكر النهار بأنه للمعاش كما في سورة النبأ ﴿**وَجَعَلَ اللَّيلَ لِبَاسًا وَالنَّهارَ مَعَاشاً**﴾.

وفي كتاب "**سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن**" يناقش الفرق بين حساب وحسبان، فيقول: "إن كل المعاني الواردة في ألوان السياق المختلفة لهذه الكلمة.. تُرَدّ إلى المعنى الأصلي: العَدّ، أما حسبان.. فلها معنى واحد هو الحساب الدقيق، ثم يقول: وينبني على الفرق بين الحساب والحسبان فرق آخر؛ وهو أن الحسبان جاءت لتشير إلى أمر يخص الفلك أو يشير إلى علاقة أجزاء الفلك بعضها ببعض، ولم ترد الحساب ولا مرة واحدة لتشير إلى مثل ذلك مع أنها وردت تسعاً وثلاثين مرة" وقوله: ﴿**فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً**﴾ كانت الإشارة إلى حساب الفلك عن طريق حساب حركة الشمس والقمر لأن الشمس والقمر يكونان ظاهرتين من أعظم الظواهر الفلكية التي يراها الإنسان ويحس بوجودها: الشمس ضياء، والقمر نور، لولا الشمس لما عاش إنسان أو طير أو حيوان، ولولا القمر لاختلت كثير من أشياء الأرض، ستختل حركة البحر وسيختل نمو النبات والحيوان ويختل مزاج

الإنسان، ولو اقتربت الشمس قليلاً من الأرض لاحترقت الحياة، ولو ابتعدت قليلاً لماتت الحياة على الأرض صقيعاً وقراً، ولو اقترب القمر من الأرض قليلاً أو ابتعد قليلاً لاختلت الحياة أنواعاً لا تحصى من الاختلال.

ولو اختلَّ الحساب المضبوط الدقيق ما بين الشمس والقمر أقل اختلال لاختلّ نظام الكون واختلَ نظام الحياة فانتهت سيرتها الأولى.

إن زيادة المعنى التي جاءت في حسبان ولم تجيء في حساب لراجعة إلى زيادة الألف والنون فيها". أ.هـ.

ومن الناحية البلاغية ﴿**الشمس والقمر بحسبان**﴾ فيها مراعاة النظير في الائتلاف والتناسب وعدم التنافر لما بعدها من الآيات ﴿**والنجم والشجر يسجدان**﴾ ، كما فيها تقديم الأهم على المهم.

وأما البروج فهي آيات عظيمة من آيات الله، قال الله تعالى ﴿**وَالسَّمَاء ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ**﴾ البروج

١-٢، فالله تعالى إذا أقسم بالشيء دل على أهميته فضلاً عن توجيه الأنظار إليه ليُنظر إليه بعناية واهتمام لخير الإنسان وفائدته.

وقد ورد في كتاب "من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" عن البروج ما يلي: وقد تبين للعلم الحديث أن في السماء بروجاً وطرقاً ومسالك ومدارات ثابتة ومحددة لكل كوكب ونجم وشمس وسديم من بين ملايين كل جنس منها المتناثرة في رقعة السماء، ولا يمكن لأي منها أن يحيد عن مداره أو مسلكه الذي حدد لها بأمر خالقها تبارك وتعالى على الرغم من الاختلاف الكبير فيما بينها من حيث الشكل والحجم والتركيب الغازي والمعدني والكثافة والسرعة والمدارات والطرق والمسالك في السماء التي لا حصر لها عدداً، فهي تعد ببلايين البلايين بعدد ما في السماء من نجوم وكواكب وأقمار، إلا أن هذا العدد –الهائل– محبوك بإتقان مذهل ومتشابك بنظام معجز ومحكم بنسيج مبدع. ويقسم الله سبحانه وتعالى بالسماء ذات البروج، والبرج هو الحصن، وجمعه أبراج وبروج.. أقسم الله بالبروج التي

هي منازل الشمس ومنازل القمر الاثنا عشر برجاً وباليوم الموعود الذي هو يوم القيامة، وفي سورة الحجر الآية ١٦ ﴿**وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ**﴾ تشير الآيات إلى أهمية منازل الشمس والقمر وبروجها والتي بمقتضاها يعرف الناس عدد السنين والحساب وأن هذه البروج لم تخلق بصورة عشوائية بل جعل الله من مواقع منازلها في السماء على شكل صور ومناظر متنوعة ومبهرة للناظرين إليها.. وتشير الآية ٦١ من سورة الفرقان إلى المشهد السماوي نفسه، فبدأت هذه الآية بقوله تعالى ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً**﴾ أي تقدس وتنزه أن يكون لله شريك في خلقه أو عبادته الذي بقدرته وبمشيئته جعل في السماء بروجاً وتعرف البروج الاثنا عشر بالحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وتنزل كل من كواكب المجموعة الشمسية في كل منزل أو برج وكأنها تنزل في قصر لها.

البلاغة:

- القسم بالسماء ذات البروج فيها الدلالة على عظمة الخالق والتوجيه إلى تدبر هذه الآية العظيمة.
- الإيجاز حيث اقتصر على ذكر البروج في السماء.
- وفي الآية من سورة الحجر: فيها الاكتفاء والإيجاز؛ حيث أجمل ﴿**وزيناها للناظرين**﴾ ولم يذكر الكواكب والنجوم والشمس والقمر، فاكتفى بمدلول الزينة عن التفصيل.
- وكذلك في ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً**﴾ فيها توحيد الخالق وتنزيهه عن الشريك فيما خلق.
- إضافة إلى الإطناب حيث ذكر البروج والشمس والقمر.
- الكناية حيث كنى عن الشمس بأحد أوصافها وهو السراج، فقد ذكرت الآية في سورة نوح هذه الصفة ﴿**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً**﴾ ١٦.

- ذكر التسلسل بالأهم، فذكر الشمس ثم القمر.
- البيان العالي في النظم القرآني ومراعاة النظير في (بروجاً) و (سراجاً) ولو ذكرت الشمس صراحة لما ناسب هذا البيان.
- وفي هذه الآية من سورة نوح، نجد التشبيه المؤكد، حيث شبه الشمس بالسراج والقمر بالنور.

* ومع هذه الآيات في سورة يس: ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ ٣٧-٤٠، قال في الفتح القدير : "أن ذلك علامة دالة على توحيد الله وقدرته، ووجوب إلهيته، والسلخ: الكشط، والنزع، يقال: سلخه الله من بدنه، ثم يستعمل بمعنى: الإخراج، فجعل الله ذهاب الضوء ومجيء الظلمة كالسلخ من الشيء وهو استعارة بليغة

﴿**فإذا هم مظلمون**﴾ أي داخلون في الظلام مفاجأة وبغتة.. ﴿**والشمس تجري لمستقر لها**﴾ يحتمل أن تكون الواو للعطف على الليل، والتقدير وآية لهم الشمس.. ويحتمل الواو ابتدائية.. ويكون الكلام مستأنفاً مشتملاً على ذكر آية مستقلة، وقيل في الكلام حذف، والتقدير: تجري لمجرى مستقر لها.. ﴿**والقمر قدرناه منازل**﴾.. وانتصاب منازل على أنه مفعول به ثان، لأن قدرنا بمعنى: صيرنا، ويجوز : أن يكون منتصباً على الظرفية، أي: في منازل.. والمنازل هي الثمانية والعشرون التي ينزل القمر في كل ليلة في واحد منها.. فإذا صار القمر في آخرها عاد إلى أولها، فيقطع الفلك في ثمان وعشرين ليلة ثم يستتر ليلتين، ثم يطلع هلالاً ﴿**حتى عاد كالعرجون القديم**﴾ قال الزجاج: العرجون هو عود العذق الذي في الشماريخ، وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف، أي: سار في منازله فإذا كان في آخرها دق واستقوس وصغر حتى صار كالعرجون القديم.. وقال الخليل: العرجون أصل العذق وهو أصفر عريض يشبه الهلال إذا انحنى.. ﴿**لا**

الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ أي: لا يصح ولا يمكن للشمس أن تدرك القمر في سرعة السير وتنزل في المنزل الذي فيه القمر..﴿**ولا الليل سابق النهار**﴾ أي لا يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه ويجيء كل واحد منهما في وقته.. ﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾ التنوين في كل عوض عن المضاف إليه، أي: كل واحد منهما ، والفلك: هو الجسم المستدير، أو السطح المستدير، أو الدائرة، والسبح: السير بانبساط وسهولة، والجمع في قوله يسبحون باعتبار اختلاف مطالعهما، فكأنهما متعددان بتعددها، أو المراد الشمس والقمر والكواكب".

يقول صاحب كتاب الإعجاز العلمي: "وينتج عن الحركة المحورية للنجوم والكواكب قوة طرد مركزية تحتفظ للنجم أو للكوكب موقعه في مداره على بعد ثابت بينه وبين النجم الأم، وتتمثل العوامل التي تؤثر في استمرار حدوث ربط النجوم والكوكب بعضهـــا بالبعض الآخر في الآتي:

- كتلة الشمس الأم.

- الدوران المحوري للشمس.
- قوة الجذب للشمس.
- كتلة كل كوكب تابع للشمس.
- استمرار الدوران المحوري لكل كوكب في سرعة ثابتة له.
- قوة الطرد المركزية لكل كوكب.
- المسافة الفاصلة بين الشمس وكل كوكب.

وعلى الرغم من تعدد هذه العوامل وطول الفترة الزمنية لعملها منذ بداية نشوئها حتى اليوم؛ والتي تقدر بملايين السنين، إلا أن الشموس والنجوم والكواكب ظلت تعمل بقدر ولم يصبها خلل أو زلل، ذلك لأنها تعمل وهي مسخرة بأمر الله عز وجل، ولا تخضع للصدفة أو العشوائية وإن حدوث أي نوع من الاضطراب في أي عامل من العوامل السابقة الذي يؤدي إلى تفكك قوى الربط بين الشمس الأم وكواكبها وينجم عن ذلك انفجار وانشطار، وانشقاقها وهذا لا

يحدث إلا إذا قضى الله سبحانه وتعالى فاطرها وخالقها بأن يكون أ.هـ) ص ٢٤٧، وفي الموسوعة الكونية الكبرى فرق بين الجري والسباحة، يقول عن الشمس: "فإن جريها لمكان تستقر فيه لا يتحقق بمجرد سبحها في فلك ثابت غير منتقل في الفضاء، بل إنه يتحقق إذا كانت تسبح في فلك بشرط أن تكون السباحة مقرونة بحركة جري أو انتقال سريع لهذا الفلك في الفضاء لكي تبلغ بهذا الجري المستقر المقدر لها. مجلد٢ ج٤ ص ٤٨١.

البلاغة:

- الاستعارة في قوله: نسلخ منه النهار فالمستعار منه السلخ الذي هو كشط الجلد عن الشاة والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل، ويترتب على سلخ النهار الظلمة وهي استعارة تصريحية مرشحة.
- التوشيح، وفيه ائتلاف القافية في كلمة "مظلمون".
- تشابه الأطراف في "العزيز العليم" فجريان الشمس يحتاج للعزة ووصولها للمستقر يحتاج للعلم.

- الحذف من أجل جمال العبارة في (تقدير العزيز العليم) تقدير راجعة للعليم، والعزيز تحتاج إلى عظمة، أي: ذلك عظمة العزيز وتقدير العليم.
- الاكتفاء في آية "والقمر قدرناه منازل" والمنازل تعني زيادة النور فيه كل يوم ليكون بدراً ثم يبدأ التراجع حتى يصبح كالعرجون القديم، فاكتفى بذكر نهايته.
- التشبيه التام، حيث شبه القمر بالعرجون القديم، فجمع أركان التشبيه كافة.
- التقسيم، فذكر الشمس وجريانها لمستقرها ثم القمر ومنازله.
- كلٌّ، تنوين العوض، وهو عوض عن مضاف إليه كي لا يعاد ذكر الشمس والقمر والكواكب.
- السجع المرصع، بين "العليم" و "القديم".
- المجاز المرسل، فالليل والنهار لا يسبحان وإنما المقصود به لازم من لوازمهما والقرينة على هذا

﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾ فمن لوازمهما سباحة الشمس والقمر والأرض.

- الاستغناء بالجمع عن الإفراد في ﴿**وكل في فلك يسبحون**﴾ كما فيها مراعاة الفاصلة مع الإرشاد أو التمكين حيث ختم بـــ ﴿**يسبحون**﴾ لأن الكواكب تسبح في الفضاء.

* وفي سورة الزمر، قال الله تعالى: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى أَلاَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**﴾ ٥- قال في تفسير الفتح القدير: "أي: لم يخلقهما باطلاً لغير شيء، ومن كان هذا الخلق العظيم خلقه استحال أن يكون له شريك أو صاحبة أو ولد، ثم بين كيفية تصرفه في السموات والأرض، فقال: ﴿**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**﴾ التكوير في اللغة: طرح الشيء بعضه على بعض، يقال : كور المتاع: إذا ألقى بعضه على بعض، ومنه كور العمامة، فمعنى تكوير الليل

على النهار: تغشيه إياه حتى يذهب ضوؤه، ومعنى تكوير النهار على الليل: تغشيه إياه حتى تذهب ظلمته.. وقيل: أن ما نقص من الليل دخل في النهار، وما نقص من النهار دخل في الليل ، وهو معنى قوله تعالى: ﴿**يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل**﴾.. ﴿**وسخر الشمس والقمر**﴾ أي: جعلهما منقادين لأمره بالطلوع والغروب لمنافع العباد.أ. هـ".

وفي تفسير الشيخ طنطاوي جوهري، يقول: "إن التكوير هو اللف واللّي، ويقال: كار العمامة على رأسه وكورها، ولا جرم أن كل واحد من الليل والنهار في تتابعهما أشبه بتتابع أكوار العمامة بعضها على بعض".

البلاغة:

- الاستعارة، حيث استعار فعل يكور ليعلم كيفية تتابع الليل والنهار.
- رد العجز على الصدر في ﴿**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**﴾.

- عظمة الله وقدرته في تسخير الشمس والقمر لما يريد.

وفي آية يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، فيها من أسلوب البديع "العكس" بحيث يؤتى بكلام يقدم جزءاً ويؤخر الآخر، ثم يأتي بالمؤخر مقدماً.

وتذكر سورة الإسراء ظاهرة الدلوك وغسق الليل والفجر، وهي من توابع السماء لذلك لا بد للتعرض لهذه الظواهر من التفسير والبلاغة، قال الله تعالى: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً**﴾ ٧٨- قال في الفتح القدير: "أجمع العلماء على أن هذه الآية المراد بها الصلوات المفروضة، وقد اختلف العلماء في الدلوك على قولين: أحدهما: أنه زوال الشمس عن كبد السماء.. والثاني: أنه غروب الشمس.." ، يقول الشوكاني: "والقول عندي أنه زوالها نصف النهار لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس، والمعنى: أقم الصلاة من وقت دلوك الشمس إلى غسق الليل فيدخل

فيها الظهر والعصر وصلاتا غسق الليل وهما العشاءان، ثم قال ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ هذه خمس صلوات، وغسق الليل: اجتماع الظلمة".

وأما الشفق فقد ورد في سورة الانشقاق ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ ١٦-١٨، قال في الفتح القدير: "الشفق: الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة.."، وفي الصحاح: "الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى العتمة".

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ الوسق عند أهل اللغة: ضم الشيء بعضه إلى بعض.. قال الواحدي: المفسرون يقولون: "وما جمع وضم، وحوى ولف، والمعنى: أنه جمع وضم ما كان منتشراً بالنهار في تصرفه، وذلك أنه إذا أقبل أوى كل شيء إلى مأواه"، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي اجتمع وتكامل، قال الفراء: "اتساقه امتلاؤه واجتماعه، واستواؤه ليلة ثالث عشر ورابع عشر إلى ست عشرة .أ.هـ".

وفي كتاب الإعجاز يقول: "ويفسر بعض العلماء الشفق بأنه الوقت الخاشع المرهوب بعد الغروب- نقله عن الظلال لسيد قطب- ويحدد العلم الشفق بأنه تدرج الضوء على دائرة الأفق المرئي من جهة شروق الشمس ومن جهة غروبها كذلك، أو بمعنى آخر فإن الشفق هو الحد الفاصل لحالة الضوء بين ظلام الليل المعتم ونور الفجر المبصر.. ويحدد الفلكيون وقت الشفق والفجر؛ بأن الشفق هو وقت مغيب الشمس تحت الأفق بالنسبة للراصد، ويشع الضوء على جزء كبير من الهواء بالأفق وتعمل الذرات والجسيمات الدقيقة من الأتربة على انعكاس الأشعة الضوئية ومن ثم يبدو الجزء الذي يقع فوق المماس الأراضي مضيئاً في حين يبدو الجزء الذي يقع تحته مظلماً، وكلما هبطت الشمس تحت الأفق يقل الجزء المضي تدريجياً إلى أن ينعدم الضوء الذي يصل مباشرة من الشمس.. ويلاحظ بأن هناك فرقاً مميزاً بين شفق الصباح وشفق المساء، ففي المساء يبدو ضوء الشمس الذي تعكسه ذرات الأتربة المعلقة في الهواء مصفراً عند الغروب ومبيضاً عند

ابتداء الليل، أما عند الشروق فإن الفجر يبدأ بظهور الضوء الأبيض ثم يصفر تدريجياً حتى ينتهي باللون الأحمر عند طلوع الشمس. أ.هـ ".

البلاغة:

- حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، لدلوك، أي: من دلوك، كما ورد في تفسير الآية سابقاً.
- التدبيج: وذلك في روعة البيان في الآية كاملة وهو نوع من الطباق، دلوك الشمس وغسق الليل.
- الكناية، حيث كنى عن دخول وقت صلاة الظهر بالدلوك.
- الإيجاز، لأن وقت العصر قد دخل فيها ضمن وقت الدلوك.
- إلى تفيد ابتداء الغاية، وكنى ببدء الغسق عن صلاة المغرب ﴿**إلى غسق**﴾ كما اكتفى بذكر الغسق عن ذكر صلاة العشاء ﴿**غسق الليل**﴾ لأنه يطلق على صلاة المغرب والعشاء "العشاءان".

- التعبير بالجزء وهو يشتمل على الكل كما في ﴿**قرآن الفجر**﴾ حيث أراد صلاة الفجر فالقرآن جزء مما في الصلاة.
- الالتفات، من المخاطب إلى الغيبة (أقم) ﴿**إنَّ قرآن الفجر كان**﴾.

وفي آيات الانشقاق:

- فيها القسم دلالة على أهمية المقسم به ولفت النظر إليه.
- فلا أقسم: بمعنى: أقسم وهي للتأكيد.
- السجع، عند مقاطع الآيات.
- التفويت، وهو نوع من البيان يذكر فيها معان شتى من الوصف.
- العنوان، وهو نوع من البيان للفت النظر إلـــــى القوانين العلمية فيما خلق الله وهنا لفت النظر إلى علم الفلك.

*وفي سورة التوبة، قال الله تعالى﴿**إنَّ عِدَّةَ الشُّهُـــورِ**

عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾

٣٦- ورد في تفسير القدير: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ** ﴾ أي: عدد شهور السنة عند الله في حكمه وقضائه وحكمته : اثنا عشر شهراً ﴿**فِي كِتَابِ اللّهِ**﴾ فيما أثبته في كتابه.. وفي هذه بيان أن الله سبحانه وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على الترتيب المعروف يوم خلق السموات والأرض.. ﴿**مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ** ﴾ هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، ثلاثة سرد وواحد فرد كما ورد بيان ذلك في السنة المطهرة ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾ أي: كون هذه الشهور كذلك ومنها أربعة حرم هو الدين المستقيم، والحساب الصحيح والعدد المستوفى. أ. هـ".

أقول: فهذا بيان واضح للناس بأن الله تعالى خفف عنهم عناء التفكير في حساب الشهور والسنين بوضع هذا القانون الإلهي المحكم.

* وفي سورة البقرة، قال الله تعالى:﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ**

الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ ١٨٩ – قال في فتح القدير: "الأهلة: جمع هلال، وجمعها باعتبار هلال كل شهر أو كل ليلة تنزيلاً لاختلاف الأوقات منزلة اختلاف الذوات، والهلال: اسم لما يبدو في أول الشهر وفي آخره **﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾** فيه بيان وجه الحكمة في زيادة الهلال ونقصانه؛ وأن ذلك لأجل بيان المواقيت التي يوقت الناس عباداتهم ومعاملاتهم بها، كالصوم والفطر والحج ومدة الحمل والعدة والإجارات والإيمان وغير ذلك.. وإنما أفرد الله سبحانه الحج بالذكر لأنه مما يحتاج فيه إلى معرفة الوقت.. وقد جعل بعض علماء المعاني هذا الجواب، أعني قوله **﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ ﴾** من الأسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، ووجه ذلك أنهم سألوا عن أجرام الأهلة باعتبار زيادتها ونقصانها؛ فأجيبوا بالحكمة التي كانت تلك الزيادة والنقصان لأجلها. أ. هـ".

- وفي سورة الإسراء بيان بأن القمر كان مشتعـــلاً

فصار بارداً ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ ١٢- قال في الموسوعة الكونية الكبرى: "لقد أثبت العلم الحديث بان القمر كان كوكباً مشتعلاً عند نشوء الكون ولكنه انطفأ بعد مرور ملايين السنين، وقد جاءت هذه النظرية الحديثة مطابقة للآية ﴿**فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ**﴾ أي: أزلنا ضوء القمر لأن القمر هو آية الليل، بينما آية النهار الشمس التي ظلت مبصرة ومشتعلة" ص ٤٩٠- مج٢- ج٤.

البلاغة:

- التفصيل بعد الإجمال، أي بعد ذكر عدد الشهور ذكر: (منها أربعة حرم) .
- الاختزال، وهو حذف فعل أو اسم أو حرف أو أكثر ﴿**في كتاب الله**﴾ فهناك كلام مقدر محذوف، أي مرقومة في كتاب الله، وكذلك في ﴿**ذلك الدين القيم**﴾ حذف المبتدأ "هو" ذلك هو الدين القيم.
- تقدير الزمن قبل خلق الإنسان، دلالته ﴿**يوم خلــق**

السموات والأرض﴾.

- أسلوب الحكيم وهو أسلوب بلاغي في ﴿**يسألونك عن الأهلَّة﴾** فكان الجواب بأكثر مما يريد السائل ﴿**قل هي مواقيت للناس والحج﴾**.
- التعبير بالمجمل عن المفصل، الأهلة مجملة ولكنه عبر بها عن تفصيل ما يحدث للقمر من حالات تغير، وكذلك في كلمة "مواقيت" فهي مواقيت يومية تعبر عن الأيام ومواقيت شهرية تعبر عن الشهور ومواقيت سنوية تعبر عن عدد انقضاء السنين.
- الاختزال، حيث ذكر الحج في الحاجة فيه إلى الأهلة مع أن رمضان أيضاً بحاجة لها، وكذلك الزكاة وأمور كثيرة كما ورد في التفسير أعلاه.
- أسلوب البديع في "العنوان" حيث أشار إلى مجالات علمية لتعلم الفلك والمواقيت.
- التفصيل بعد الإجمال ويقال له: التقسيم في ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾**.

- الكناية، حيث كنى عن القمر بآية الليل واستعار المحو عند سلبه الضياء بدل الإظلام.
- وكذلك كنى عن الشمس بآية النهار، وأضفى على الشمس الحياة بصفة الإبصار ﴿ **وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً**﴾ فاستعار للشمس البصر.

المبحث الثالث: آيات مختارة عن الرياح والسحاب والمطر والبرق والرعد.

ومن توابع خلق السماء أيضاً ما تحويه السماء الدنيا من رياح وغيوم وأمطار ورعد وبرق، فالغيوم بحار متنقلة فيها ملايين الأطنان من الماء وهي بحر لا يقل ماؤه العذب عن ما في البحار من ماء ويكفي أن تمر مزنة فوق منطقة ما فتسقط من الأمطار بإذن ربها خلال ساعات معدودة ما يملأ الأودية ويحدث الفيضان ﴿**وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ**﴾ الذاريات ٢٢- فهو المطر الذي يحصل بإنزاله الرزق، وفي سورة الجاثية ﴿**وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ ٥ .

قال في القاموس المحيط: "تصريف الآيات: تبيينها، وتصريف الرياح: تحويلها من وجه إلى وجه".

وفي تفسير القرطبي: "تصريف الرياح: إرسالها عقيماً وملقحة، وصرّاً ونصراً وهلاكاً، وحارة وباردة، ولينة وعاصفة، وقيل: إرسالها جنوباً وشمالاً".

البلاغة:

- المطابقة بين الليل والنهار.
- كنى عن المطر بالرزق، وهذا على اعتبار ما سيكون من الإنبات وحصد الثمار.
- المقابلة بين إحياء الأرض وموتها، والمقابلة نوع من الطباق .
- الاختزال في حذف "في" لورودها في آية سابقة ﴿**وفي خلقكم**﴾ فالمقدر ﴿**وفي اختلاف**﴾ ﴿**وفي تصريف الرياح**﴾ على قراءة الكسر.
- مناسبة الفاصلة لما تقدم فالعاقل يدرك أن هذه الظواهر الكونية هي من صنع الخالق.

*وفي سورة البقرة تتوسع الآية الكريمة في ذكر الظواهر الكونية ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ ١٦٤-

البلاغة:

- هذه الآية بتمامها فيها إطناب، حيث شملت أموراً كثيرة وبياناً وافياً عن قدرة الله وعظمته وبديع صنعه.
- الطباق بين الليل والنهار، والسماء والأرض.
- المقابلة في ﴿**فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ .
- جناس غير تام بين (السماء.. وماء).
- إيجاز القصر، في ﴿**من كل دابة**﴾ شمل بذلك كل من يدب على الأرض.

- مناسبة الفاصلة لما تقدم، فالعاقل هو الذي يرجع كل ذلك إلى الله ويؤمن به إلهاً خالقاً قادراً وما سواه من المعبودات حقيرة لا تقدر على شيء من هذا.

* وفي سورة الحجر يبين الله تعالى صفة أخرى للرياح ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ ٢٢- وإضافة إلى تفسير قدماء المفسرين لمعنى "لواقح" بأنها تنقل حبات اللقاح من الشجرة الذكر إلى الأنثى لتثمر الأشجار، فإن العلم الحديث له رأي إضافي ودقيق لمعنى "لواقح" : "تتلخص في أن الرياح هي حركة الهواء بالقرب من سطح الأرض ويتحرك الهواء عند تسخينه من أسفل إلى أعلى وعند صعود الهواء الساخن إلى أعلى يحمل معه شحنات كهربائية موجبة وينتج عن تصادم هذه الشحنات تلك بالسالبة الموجودة بالسحب حدوث تفاعلات كهربائية أقرب إلى التلقيح بين السالب والموجب يؤدي إلى حدوث عواصف الرعد والبرق وهطول المطر"- من الإعجاز العلمي في القرآن ٥٥٣.

البلاغة:

- استعارة تصريحية، حيث شبه عملية تلاقي كتلتين من الرياح الموجبة والسالبة بتلاقح الذكر مع الأنثى، وينتج عن ذلك البرق والرعد والأمطار.
- الكناية عن جعل السماء مخزناً للماء تشبيهاً بما في الأرض من خزّانات.

* وفي سورة النور تفصيل أكثر شمولاً وذلك للفت الأنظار إلى عظيم صنع الله ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ**﴾ ٤٣- يزجي: يسوق ويدفع، يؤلف بينه، يجمعه بعضه على بعض، ركاماً: مجتمعاً يركب بعضه بعضاً، الودق: له معنيان؛ البرق والمطر، السنا: خيوط البرق والضياء.

آية تتضمن تفصيل ما يحدث في السماء عند تشكـــل

المطر أو الثلج وما يرافق المطر الكثيف من برق ورعد حتى ليكاد من شدته يذهب بالأبصار.

البلاغة:

- التورية، يزجي سحاباً، فالمعنى المتبادر للذهن السوق والدفع والمعنى المراد أمر الله بهذا، وقد يكون الأمر لميكائيل لأنه مختص بالسحاب والمطر، وقد يكون الأمر للرياح.
- الإيجاز حيث استعمل كلمة "الودق" وهي تحمل معنى المطر ومعنى البرق.
- الإطناب في عموم الآية لإتمام الوصف مفصلاً.
- الالتفات، في ﴿**ألم تر**﴾ و ﴿**يزجي**﴾ وكذلك (**ثم يؤلف بينه**) إلى ﴿**فترى الودق**﴾.
- الترتيب، في تسلسل تكوين المطر ﴿ **يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ**﴾.
- أسلوب الاستعارة؛ حيث استعار تعبير الجبال بالجمع

لتصور حجم البرد الهائل النازل من السماء.

- أسلوب المبالغة في "سنا البرق" الذي يذهب بالأبصار.
- الجناس بين ﴿**يذهب بالأبصار**﴾ و ﴿**لعبرة لأولي الأبصار**﴾ على رأي ابن حجر.
- الكناية، حيث كنى بذهاب البصر عن كلمة يعمي الأبصار، وهذا من نوع ترك اللفظ إلى ما هو أحسن منه.
- استعارة في يقلب الله الليل والنهار كمثل السجل صفحة لليل وأخرى للنهار.
- التعريض في ﴿**لأولي الأبصار**﴾ فهم وحدهم من يدرك عظيم قدرة الله ومن لا يدرك ذلك فليس منهم، أي من عميان البصر.
- مراعاة الترتيب في البدء حيث بدأ بالليل ثم النهار، وهذا ملاحظ في كل آيات الليل والنهار.

الفصل الثالث

خلق الأرض

المبحث الأول: آيات مختارة في خلق الجبال وخاصية التربة في الإنبات.

بعد أن أفردتُ الفصل الأول لخلق السماء، سيكون هذا الفصل لخلق الأرض؛ علماً بأنهما قد ذكرا في القرآن الكريم متلازمين فما ذكرت السماء إلا وذكرت معها الأرض، إلا أن الدراسة اقتضت الفصل لإشباع الدراسة حول كل منهما مع ما يلازمهما من توابع، وأرى أن أبدأ بما ورد في سورة فصلت عن خلق الأرض وما حوت في قوله تعالى ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ ٩-١١ وقد ورد في تفسير هذه الآيات : "ينكر الله تعالى ويعجب من كفر

الكافرين به الذين جعلوا معه أنداداً يشركونهم معه ويبذلون لهم التقديس والقرابين والخضوع والعبادة ويسوونهم بالرب العظيم الملك الكريم الذي خلق الأرض الكثيفة العظيمة في يومين ثم دحاها في يومين؛ بأن جعل فيها رواسي من فوقها ترسيها عن الزوال والتزلزل وعدم الاستقرار فكمل خلقها ودحيها وإخراج أقواتها وتوابعها ﴿**فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ**﴾ عن ذلك فلا ينبّئك مثل خبير.. ومع أن قدرة الله ومشيئته صالحة لخلق الجميع في لحظة واحدة ولكن مع أنه قدير فهو حكيم رفيق فمن حكمته ورفقه أن جعل خلقها في هذه المدة المقدرة.

واعلم أن ظاهر هذه الآية مع قوله في "النازعات" لما ذكر خلق السموات قال: ﴿**والأرض بعد ذلك دحاها**﴾ يظهر منها التعارض مع أن كتاب الله لا تعارض فيه ولا اختلاف، والجواب عن ذلك ما قاله كثير من السلف أن خلق الأرض وصورتها متقدم عن خلق السموات كما هنا، ودحى الأرض بأن ﴿**أخرج منها ماءها**

ومرعاها والجبال أرساها﴾ متأخر عن خلق السموات" نقلاً عن تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. وكل من هذه الحالات مخلوق في يومين، وحسب تسلسل الأيام فإن الأرض خلقت يومي الأحد والاثنين، ثم السموات يومي الثلاثاء والأربعاء أي خلق الأرض وصورتها ثم السموات ثم تقدير ما في الأرض من أنفس وأقوات وجبال في يومي الخميس والجمعة، وقد ذكر في الأحاديث الصحيحة أن آدم خلق يوم الجمعة ومات يوم الجمعة وستقوم الساعة يوم الجمعة.

البلاغة:

- الإيضاح بعدم الإبهام، وذلك لدفع التوهم ﴿**خلق الأرض في يومين**﴾ إلى أن قال ﴿**وقدَّر فيها أقواتها في أربعة أيام**﴾ فإن من جملة هذه الأيام الأربعة اليومين المذكورين.
- الاستعارة الحسية، حيث استعار للجبال كلمة (رواسي) التي تثبّتُ الأرض وتثقّلها وفي تنكيرها تفيد العموم، أي كل جبل يعد من الرواسي.

- التورية، في ﴿**استوى إلى السماء**﴾ على مذهب أهل التأويل للخروج من التشبيه بزعمهم.
- الطباق، في ﴿**طوعاً وكرهاً**﴾.
- الإرصاد، في توقع الفاصلة القرآنية ﴿**طائعين**﴾ وهذا من تمام الانقياد لله.
- إضفاء الحياة على السماء والأرض في الخطاب ثم ردهما بالخضوع والإذعان ﴿**قالتا أتينا طائعين**﴾ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ**﴾ الإسراء- ٤٤.
- الالتفات، في ﴿**أتكفرون**﴾ و ﴿**خلق الأرض**﴾.
- الإيجاز في ﴿**أتينا طائعين**﴾ وذلك حسب ما استقر عليه الوضع النهائي، لأن جواب ائتيا طوعاً أو كرهاً: "نمتثل أمرك يا رب فنأتي طائعين فأتوا "وهذا الاختصار لسرعة تلبية الأمر حيث لا يحتاج أمر الله إلى التردد أو التفكير وإنما تلبية الأمر حالاً فكان بيان مطاوعة السماء والأرض لأمر الله.

*﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ الرعد ٤١- قال في تفسير الفتح القدير: الخطاب لأهل مكة والاستفهام للإنكار، أي: أو لم ينظروا ﴿أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أي: نأتي أرض الكفر كمكة- قبل الفتح- ننقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها شيئاً فشيئاً.. وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قال: "ذهاب العلماء" وفي رواية ابن عباس قال: "موت علمائها وفقهائها وذهاب خيار أهلها "وفي قوله ﴿وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ أي: ليس أحد يتعقب حكمه فيرده كما يتعقب أهل الدنيا بعضهم حكم بعض فيرده.

هذا مختصر أقوال أهل التفسير لكنّ العلم الحديث له رأي لطيف في إنقاص الأرض من أطرافها، ورد في كتاب من الإعجاز العلمي في القرآن: "وأطراف الشيء هي أبعد أجزائه عن وسطه أو مركزه ، وبالنسبـــــة

لكوكب الأرض فإن أطرافه تتمثل في ناحيتين هما:

أ- القمم والهامات العليا للجبال، وهي التي تمثل الأطراف الرأسية لقشرة الأرض، وهذه الأطراف العليا تتناقص في الارتفاع تبعاً لتآكلها ونحتها المستمر بفعل عوامل التجوية والتعرية.

ب- أطراف الكرة الأرضية عند القطبين، وتبعاً لتفلطح منطقتي القطبين أدى ذلك إلى تناقص طول القطر القطبي عن طول القطر الاستوائي، وهذا الأمر له أثره في اختلاف زاوية سقوط الأشعة الشمسية على سطح الكرة الأرضية واختلاف الليل والنهار طولاً وحرارة على أجزاء سطح الأرض. ص ٣٢٦- أقول: التفاتة جيدة للعلم الحديث وهذا من الإعجاز.

البلاغة:

- التورية في نأتي الأرض- على مذهب أهل التأويل- وهي من المجاز: بمعنى يأتي أمر الله.
- الالتفات من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب ﴿**نأتي**

الأرض﴾ و ﴿**الله يحكم**﴾ .

- التوجيه إلى عظمة الخالق وقدرته وتصرفه في ملكه بما يشاء.
- الاستفهام الإنكاري وهو تقرير ما حدث، وفيه الحث والتوجيه لإعمال الفكر بدل الجمود.
- العنوان، وهو التوجيه إلى ما في الآية من علوم، وهي هنا علوم الأرض وشكلها.

* وفي سورة الملك ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ ١٥- قال في فتح القدير: "أي سهلة لينة تستقرون عليها، ولم يجعلها خشنة بحيث يمتنع عليكم السكون فيها والمشي عليها، والذلول في الأصل هو المنقاد الذي يذل لك ولا يستصعب عليك.. (**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**﴾ طرقها ومسالكها وأطرافها وجوانبها.

وللعلم الحديث التفاتة طريفة لمعنى "ذلول" شبهها بالناقة الذلول التي لا تستعصي على راكبها بل تنقله في أسفاره بيسر وسهولة وهذا دليل أن الإنسان راكب

على الأرض لأنها كالمطية وهو دليل على أن الأرض سابحة تجري بركابها.

البلاغة:

- تشبيه بليغ ﴿**الأرض ذلولاً**﴾ ويجوز: استعارة تصريحية لبيان الانقياد للإنسان.
- الالتفات في (جعل) الماضي و (فامشوا، كلوا) الأمر.
- الاكتفاء، في (من رزقه) والرزق في الأرض كثير فاكتفى به عن التفصيل.
- قدرة الله تعالى في الصنع وتذليل الصعب لأجل الإنسان.
- الحذف، حيث يفهم من عبارة ﴿**وإليه النشور**﴾ أن هناك كلاماً محذوفاً تقدير فاشكر الله على ما أعطاك أيها الإنسان لأن المرجع إليه.

المبحث الثاني: آيات مختارة عن تضاريس الأرض جبالها وأنهارها ونباتها:

* قال الله تعالى في سورة ق:﴿**والأرضَ مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوجٍ بهيج**﴾ ٧- قال في تفسير فتح القدير: "مددناها: أي بسطناها (وألقينا فيها رواسي) أي جبالاً ثوابت (وأنبتنا فيها من كل زوجٍ بهيج) أي من كل صنف حسن".

* وفي سورة الرعد تفصيل أكثر، قال الله تعالى ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾٣-٤- قال في تفسير فتح القدير : "وهو الذي مدَّ الأرض" قال الفراء: بسطها طولاً وعرضاً ، وقال الأصم: إن المد هو البسط إلى ما لا يدرك منتهاه، وهذا المد الظاهر للبصر لا ينافي كرويتها في نفسها لتباعد أطرافها ﴿**وجعل فيها رواسي**﴾ أي جبالاً ثوابت، واحدها رأسية لأن الأرض ترسو بها أي : تثبت.. ﴿**وأنهاراً**﴾ أي

مياهاً جارية في الأرض فيها منافع الخلق.. ﴿**ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين**﴾ الزوج يطلق على الاثنين، وعلى الواحد المزاوج لآخر، والمراد هنا بالزوج الواحد، ولهذا أكد الزوجين بالاثنين لدفع توهم أنه أريد بالزوج هنا الاثنين.. أي جعل كل نوع من أنواع ثمرات الدنيا صنفين، إما في اللونية، كالبياض والسواد، أو في الطعمية، كالحلو والحامض ونحوهما..قال الفراء: يعني بالزوجين الذكر والأنثى. والأول أولى". أقول: بل قول الفراء هو الأولى لأن علم النبات اكتشف هذا.

((﴿**وفي الأرض قطع متجاورات**﴾ قيل: وفي الكلام حذف، أي: قطع متجاورات وغير متجاورات.. قيل: المتجاورات المدن وما كان عامراً، وغير المتجاورات: الصحارى وما كان غير عامر، وقيل: المعنى متجاورات متدانيات، ترابها واحد، وماؤها واحد، وفيها زروع وجنات ثم تتفاوت في الثمار فيكون البعض حلواً والبعض حامضاً، والبعض طيباً والبعض غير

طيب.. ﴿**وجنات من أعناب**﴾ الجنات: البساتين، وذكر سبحانه الزرع بين الأعناب والنخيل- كما جرت عادة المزارعين-.. ﴿**صنوان وغير صنوان**﴾ صنوان: جمع صنو، وهو أن يكون الأصل واحداً ثم يتفرع فيصير نخيلاً، ثم يحمل.. قال ابن الإعرابي: الصنو: المِثْل.. قال في الكشاف.. "والصنوان جمع صنو، وهي النخلة لها رأسان وأصلها واحد.." ﴿**يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل**﴾.. فإذا كان المكان متجاوراً وقطع الأرض متلاصقة والماء الذي تسقى به واحداً، لم يبق سبب للاختلاف في نظر العقل إلا تلك القدرة الباهرة والصنع العجيب، ولهذا قال الله سبحانه ﴿**إنَّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون**﴾)) السابق.

البلاغة:

- استعارة، حيث استعار كلمة (رواسي) للجبال لتدل على إرساء الأرض وتثبيتها كما هي حال المرساة للسفن.
- الاختزال، وذلك بحذف مفعول أنبتنا، وما علـــــى

المرء إلا أن يتخيل كل أصناف النبات التي يعرفها أنها من كل زوج بهيج.

- الاستعارة في ﴿**مد الأرض**﴾ فالمد بمعنى الزيادة، عبر به عن البسط طولاً وعرضاً.
- الاكتفاء بذكر الرواسي والأنهار عن بقية ما فيها من أشكال الأرض.
- الاكتفاء بذكر ﴿**ومن كل الثمرات**﴾ عن التفصيل أو ذكره كافة الأنواع.
- دفع التوهم في ﴿**زوجين اثنين**﴾ أي: بمعنى زوج فأكد باثنين كيلا يظن ظان أن زوجين تعني أربعة، فالزوجين يطلق هنا على الذكر والأنثى.
- استعارة في ﴿**يغشي الليل والنهار**﴾ حيث استعار لليل لباساً يغشي به النهار فيظلم.
- الاختزال في ﴿**وفي الأرض قطع متجاورات**﴾ أي: وغير متجاورات.
- تغليب الأعم في ﴿**وجنات من أعناب وزرع نخيل**﴾

حالة بلاد العرب في أغلب واحاتها وذلك لفهم المثل للمخاطبين الذين نزل القرآن بديارهم ويدخل تحت العام كل القطع التي فيها ثمار غير التي ذكرت وكذلك الزروع.

- الالتفات في (مد، وجعل) ثم (يغشي) ثم (يتفكرون) فانتقل من الماضي إلى المضارع والضمير "هو" إلى ضمير واو الجماعة التي تعني "هم"، وفي الآية التالية من المضارع المبني للمجهول (يسقى) إلى المضارع المتكلم (ونفضل) ثم إلى (يعقلون).
- الجناس في ﴿**صنوان وغير صنوان**﴾.
- مناسبة الفاصلة في كل من (يتفكرون) فالأمر في مد الأرض وإقامة الرواسي وجريان الأنهار والليل يغشي النهار تحتاج إلى إعمال الفكر وتصور ذلك في المخيلة، وكذلك في المحسوس مما يشاهد في الزراعة والثمار والطعوم يحتاج الأمر إلى حسن العقل ليرى بإنصاف هذه الفوارق ويرجعها إلى قدرة الله.

- التعريض، فقوله: ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون.. وكذلك يتفكرون**﴾ تعريض بمن لا يفعل ذلك فهو لا يملك العقل للتفكير.

* وفي سورة فاطر، قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**﴾ ٢٧ – قال في تفسير الكشاف: "ألوانها: أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر، أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها، والجدد: الخط والطرائق.. ويقال: جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره، وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه (غرابيب) معطوف على بيض أو جدد، كأنه قيل: ومن الجبال مخطط ذو جدد، ومنها ما هو على لون واحد غربيب، وعن عكرمة: هي الجبال الطوال السود، قلت: الغربيب تأكيد للأسود، يقال: أسود غربيب، وأسود حلكوك: وهو الذي أبعد في السواد وأغرب فيه".

البلاغة:

- الاكتفاء بذكر "ثمرات" عن ذكر دورة الحياة النباتية من البذرة وحتى الثمرة، وكذلك في ﴿**مختلف ألوانها**﴾ عن تعداد الألوان أو أصناف الفواكه كما ورد في التفسير.
- الإيجاز، حيث حذف "ذو" أي: ذو جدد، أو: منها جدد بيض ومنها جدد حمر مختلف ألوانها، ومنها غرابيب سود.
- الإطناب في وصف الجدد في الجبال حتى أتى على كل ألوانها.
- العنوان، وهو التوجيه إلى علم طبقات الأرض والجيولوجيا.
- الالتفات، في "أنزل" و "فأخرجنا" من الغائب إلى المتكلم.
- التدبيج وصحة التقسيم، وهو نوع من الطباق، فذكر

الألوان ما بين أبيض وأسود غربيب وأحمر وما بينهما، وهو أمر مشاهد في الجبال.

- المبالغة في (غرابيب سود) حيث بالغ في شدة السواد، وهذا من بديع القرآن.

- وعد السيوطي في الإتقان ﴿**وغرابيب سود**﴾ من التأكيد اللفظي وهو تكرار اللفظ بمرادفه من الإطناب.

- إظهار قدرة الله على الخلق والتكوين والإبداع.

* وفي سورة النمل، قال الله تعالى ﴿**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ ٦٠-٦١- قال في فتح القدير: "أعبادة ما تعبدون من أوثانكم خير أم عبادة من خلق السموات والأرض؟ فتكون أم على هذا متصلة وفيها معنى التوبيخ والتهكم..

﴿**وأنزل لكم من السماء ماء**﴾ أي: نوعاً من الماء وهو المطر ﴿**فأنبتنا به حدائق ذات بهجة**﴾ الحديقة: البستان الذي عليه حائط، فإن لم يكن عليه حائط فهو البستان وليس بحديقة، وقال قتادة وعكرمة: الحدائق: النخل.. والبهجة هي الحسن الذي يبتهج به من رآه ﴿**ما كان لكم أن تنبتوا شجرها**﴾ أي: ما كان للبشر ولا يتيهأ لهم ذلك ولا يدخل تحت مقدرتهم لعجزهم عن إخراج الشيء من العدم إلى الوجود ﴿**أإله مع الله**﴾ هل من معبود مع الله الذي تقدم ذكر بعض أفعاله حتى يقرن به ويجعل له شريكاً في العبادة؟ ﴿**بل هم قوم يعدلون**﴾ يعدلون الله بغيره، أو يعدلون عن الحق إلى الباطل، ثم شرع في الاستدلال بأحوال الأرض وما عليها، فقال: ﴿**أمَّن جعل الأرض قراراً**﴾القرار: المستقر، أي: دحاها وسواها بحيث يمكن الاستقرار عليها .. ﴿**وجعل خلالها أنهاراً**﴾ الخلال: الوسط (وجعل لها رواسي) أي: جبالاً ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة والاهتزاز الدائم مثل المركب في الماء من دون مرساة. ﴿**وجعل بين البحرين حاجزاً**﴾ الحاجز: المانع، أي : جعل بين

البحرين من قدرته حاجزاً، والبحران هما العذب والمالح.. ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون**﴾ توحيد ربهم وسلطان قدرته".

البلاغة:

- الالتفات، في ﴿**خلق السموات**﴾﴿**وأنزل لكم**﴾ من ضمير الغائب هو إلى ضمير المتكلم في ﴿**وأنبتنا**﴾.
- حسن الفاصلة، بعد الاستفهام الإنكاري والتوبيخ ختم بـــ ﴿**بل هم قوم يعدلون**﴾ وفيه تعريض بهم وتسفيه لحكمهم هذا بعد بيان القدرة الإلهية وما يفيض من الإحسان على عباده.
- العدول من الجمع إلى الإفراد لجمال المعنى ﴿**حدائق ذات بهجة**﴾ فلم يقل : ذوات.
- استعارة، حيث استعار السكون والقرار للأرض من أجل طلب الرزق والمعاش.
- الكناية، حيث كنى عن الرفاهية وهناءة العيش والاطمئنان بوجود الأنهار التي تؤمن الماء والجبال

التي تثبت الأرض وحاجز البحر الذي يزيد في الاطمئنان كي لا يطغى على اليابسة، أو أن يختلط الماء المالح بالماء العذب فيفسده .

- التعريض في ﴿**يعدلون**﴾ لا توجد لديهم مقارنة تقوم على صحة العقل وتبصّره.

* وفي سورة يس وصف لطبيعة الأرض وما فيها، قال الله تعالى ﴿**وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ ٣٣-٣٦.

قال في فتح القدير: "ذكر الله سبحانه البرهان على التوحيد والحشر مع تعداد النعم.. فإنه أحيا الأرض بالنبات، وأخرج منها الحبوب التي يأكلونها ويتغذون بها.. وتقديمه للحَبّ للدلالة على أنه معظم ما يؤكل وأكثر ما يقوم به المعاش، وجعل الله في الأرض جنات

من أنواع النخيل والعنب، وخصهما بالذكر لأنهما أعلى الثمار وأنفعها للعباد.. وفجر في الأرض بعضاً من العيون.. والمراد بالعيون عيون الماء.. ليأكلوا من ثمره- ثمر الجنات والنخيل- ويأكلوا مما عملته أيديهم كالعصير والدبس ونحوهما وكذلك ما غرسوه وحفروه .. ﴿**سبحان الذي خلق الأزواج كلها**﴾.. وهو في تقدير الأمر للعباد بأن ينزهوه عما لا يليق به، والأزواج: الأنواع والأصناف، لأن كل صنف مختلف الألوان والطعوم والأشكال ﴿**مما تنبت الأرض**﴾ بيان للأزواج، والمراد كل ما ينبت من الأشياء المذكورة ﴿**ومن أنفسهم**﴾ أي: خلق الأزواج من أنفسهم إشارة إلى الخلق الأول لآدم وحواء فكان الذكور والإناث ﴿**ومما لا يعلمون**﴾ من أصناف خلقها في البر والبحر والسماء والأرض".

البلاغـــــة:

- استعارة مكنية، حيث استعار للأرض الموت ثم الحياة تشبيهاً بذوات الأرواح.

- الإيجاز، في ﴿**وأخرجنا منها حباً**﴾ حيث أوجز فلم يذكر عملية الزراعة ومراحلها.
- التوشيح، في ﴿**وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون**﴾ وهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية.
- الطباق، الأرض الميتة أحييناها.
- المجاز العقلي، إحياء الأرض الميتة المراد القريب، والمراد البعيد القدرة على إحياء الموتى من البشر.
- استعارة تصريحية، حيث استعار للماء الذي ينبع من الأرض ﴿**العيون**﴾ بقرينة ﴿**فجرنا**﴾.
- الالتفات، في ﴿**ليأكلوا من ثمره**﴾ و ﴿**ما عملته أيديهم**﴾.
- حسن الفواصل المسجوعة في الآيات المذكورة.
- التقسيم، حيث استوفى ذكر الأزواج ﴿**سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون**﴾.
- الإطناب في الآيات المذكورة، حيث التفصيل فيما

خلق على هذه الأرض للناس.

- المجاز العقلي ، في ﴿**تنبت الأرض**﴾ حيث نسب الإنبات للأرض والحقيقة أن المنبت هو الله.
- الاكتفاء بذكر ﴿**ومن أنفسهم**﴾ عن ذكر خلق حواء من ضلع آدم.

* وفي سورة الزمر ورد عن مائها ما يلي، قال الله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ**﴾ ٢١- ومن هذه الآية يبدو أن العيون تختلف من حيث النشأة عن الينابيع، ففي العيون كان التفجير، وكذلك في خبر موسى ﴿**فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا**﴾ البقرة.. وفي العيون ﴿**فسلكناه**﴾ أي تسرب ماء المطر في أخاديد شعرية وصغيرة ثم تجمع في أخرى أكبر منها إلى أن خرج يتدفق من تل أو جبل، قال في فتح القدير: ﴿**فسلكه ينابيع في الأرض**﴾ أي: فأدخله وأسكنه فيها،

والينابيع: جمع ينبوع، من نبع الماء ينبع، والينبوع عين الماء.. والمعنى أدخل الماء النازل من السماء في الأرض وجعله فيها عيوناً جارية ﴿**ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه**﴾ أي: يخرج بذلك الماء من الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه من أصفر وأخضر وأبيض وأحمر، أو من بر وشعير وغيرهما.. ﴿**ثم يهيج**﴾ يقال: هاج النبت يهيج هيجاً إذا تم جفافه.. ﴿**فتراه مصفراً**﴾ بعد خضرته ونضارته وحسن رونقه.. ﴿**ثم يجعله حطاماً**﴾ أي: متفتتاً منكسراً ﴿**إنَّ في ذلك لعبرة لأولي الألباب**﴾ أي فيما تقدم ذِكْرُهُ هو تذكيرٌ لأهل العقول الصحيحة.. الذين يتعقلون الأشياء على حقيقتها فيتفكرون ويعتبرون ويعلمون بأن الحياة الدنيا حالها كحال هذا الزرع في سرعة التصرم. أ.هـ".

نلاحظ عدم التفريق بين العين والينبوع، حيث فسر هذا بهذا، ولعل الينابيع هي أكثر غزارة من العيون وذلك من المعنى لأن تشبيهها بالعين التي تدمع دليل تدفق الماء منها بمقدار أي تفيض وهي في بركتها قليلاً

قليلاً، ولهذا طلب الكفار من النبي صلى الله عليه وسلم أن يفجر لهم ينبوعاً ﴿**وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً**﴾ الإسراء ٩٠- فجمعوا بطلبهم بين التفجير الذي تكون نتيجته العين والينبوع الذي هو أقوى من العين.

ولذا فإن مياه الأنهار دائمة الجريان هي من الينابيع لا من العيون.

البلاغة:

- المجاز العقلي في تشبيه حياة الإنسان وانقضائها بحياة النبات وانقضائها، وإنما كان هذا التشبيه لأن دورة الحياة عند النبات قصيرة وهي مشاهدة في كل سنة وربما في كل فصل.
- الإطناب في الوصف في هذه الآية لتستوفي الغرض.
- بيان عظيم صنع الله وقدرته.
- استعارة مكنية، شبه الماء الذي ينفذ فـــي الأرض

بالسلك حين ينظم في حبات العقد، فهو يعرف طريقه في الأرض كما يعرف السلك طريقة في حبات العقد، إلى أن يخرج نبعاً.

- الاختصار في ﴿**زرعاً مختلفاً ألوانه**﴾ استغنى بذلك عن التفصيل من حيث النوع واللون.
- الالتفات في ﴿**أنزل، فسلكه**﴾ في الماضي ثم ﴿**يخرج به**﴾ و ﴿**ثم يهيج**﴾ و ﴿**ثم يجعله**﴾.
- التعريض، (﴿**ذكرى لأولي الألباب**﴾ فمن لم يلاحظ ذلك ويربط هذه الظواهر بقدرة الخالق فهو ليس من أولي الفهم والتفكر والتدبر.

المبحث الثالث: آيات مختارة في خلق الأنهار والبحار والعذوبة والملوحة وجريان السفن.

*وفي سورة النحل، قال الله تعالى : ﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ ١٤.

البلاغة :

- استعارة، في: وهو الذي سخر البحر، فجعله كالحيوان المسخر لخدمة الإنسان.
- مجاز عقلي، حيث قال: ﴿**لتأكلوا منه**﴾ فالأكل من حيوانات البحر، وفيها أيضاً إيجاز فاستغنى بـ (منه) عن ذكر أسمائه وحيتانه.
- الكناية، حيث كنى عن الحيتان والسمك باللحم الطري.
- وفيه العنوان، وهو لفت الانتباه للعلوم الدنيوية وهي هنا صناعة الحلي للزينة.
- الكناية، في (حلية تلبسونها) بدل اللؤلؤ والمرجان.
- الالتفات، من أفعال ﴿**لتأكلوا.. وتستخرجوا.. تلبسونها**﴾ إلى (وترى).
- كناية وإيجاز، في: ﴿**ولتبتغوا من فضله**﴾ أي: كناية عن طلب الكسب والرزق فيه من صيد

الحيتان وغيرها من الحيوانات البحرية، وتستخرجوا منه اللؤلؤ والمرجان وغير ذلك.

* وفي سورة الفرقان، قال الله تعالى : ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً**﴾ ٥٣- المرج: الاضطراب والاختلاط، ومرجت الدابة إذا خليتها في المرعى، و ﴿**هذا عذب فرات**﴾ أي: شديد العذوبة، والفرات: الذي يفرت العطش ويقطعه ويكسره، و ﴿**هذا ملح أجاج**﴾ أي : شديد الملوحة، أو شديد الحرارة، أو شديد المرارة، والبرزخ: الحاجز، وحجراً محجوراً: يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر، أو حداً فاصلاً فلا يعذب المالح بالعذب ولا يملح العذب بالمالح، ويقال: المراد من البحر العذب الأنهار العظام كالنيل والفرات وجيحون، ومن البحر الأجاج البحار المشهورة، والبرزخ بينهما الحائل من الأرض.

ومن الدراسات الحديثة نلخص القول بأن البحار العذبة هي مصبات الأنهار الكبيرة في البحار، وأن

كثافة المياه الحلوة أقل من كثافة المياه المالحة وعلى هذا تبقى المياه الحلوة في تلك الأماكن فوق المياه المالحة ولا تختلط فيها ويفصل بينهما البرزخ وهو حد فاصل بين الماءين ، وقيل أيضاً هناك على السواحل أسفل مياه البحر الضحلة توجد ينابيع تفور بالماء الحلو وتنطلق إلى السطح بفعل الفارق بين كثافة الماء الحلو وكثافة المالح، وذكر الجغرافيون بعض هذه الأماكن، مثل: مجموعة مياه الكوكبات حول جزر البحرين، ومنهما أيضاً يستخرج اللؤلؤ والمرجان، وكذلك المياه أمام ساحل رأس الخيمة، وأمام ساحل طرابلس منطقة رأس شكا، وفي خليج المكسيك، وفي البحر الأدرياتيكي.

البلاغة:

- التقسيم، في ﴿**مرج البحرين؛ هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج**﴾.
- الطباق، في ﴿**عذب فرات، وملح أجاج**﴾، ويجوز المقابلة.
- الجناس الناقص في ﴿**حجراً محجوراً**﴾.

- مناسبة الفاصلة للفواصل السابقة والتالية.
- الفرائد في كلمة ﴿**برزخ**﴾ ولم يقل حاجزاً، وهذا من الفصاحة.
- المبالغة في الوصف ﴿**ملح أجاج**﴾و﴿**عذب فرات**﴾.
- بيان قدرة الله وعظيم ما خلق.

* وفي سورة لقمان ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ**﴾ ٣١- ٣٢ والظلّة: ما أظل من شجر أو سحاب والجمع ظلال وظلل.

البلاغـــــة:

- توكيد في ﴿**أن الفلك**﴾.
- المجاز في ﴿**تجري**﴾ فالجريان للماء.
- الالتفات في ﴿**تجري**﴾ و﴿**ليريكم**﴾.

- الإيجاز، في ﴿**بنعمة الله**﴾ حيث ذكر ما ترتب على قانون الطفو للسفن فوق الماء وهو إنعامه بهذا على الإنسان، لأنها تجري بأمر الله وفق ما جعل فيها من خاصية الطفو.
- الاختصار بآية الفلك عن بيان آياته الأخرى ﴿**ليريكم من آياته**﴾ للتوجيه إلى أهمية الفلك وحاجة الناس إليها في السفر البحري.
- استعارة في ﴿**غشيهم**﴾.
- تشبيه مؤكد ﴿**كالظلل**﴾.
- جناس ناقص في ﴿**مخلصين له الدين**﴾.
- السجع المرصع، في ﴿**صبار شكور**﴾ و ﴿**ختار كفور**﴾.
- وفيها أيضاً مناسبة رؤوس الآي، حيث الصبر على استيضاح آيات الله وتبينها ثم شكر المنعم على أنْ مَنّ عليه بالهداية، والجاحد لما يرى من

عظيم صنع الإله وقدرته هو الختار الكفور بهذه النعم.

- اللف والنشر في ﴿**فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ**﴾.
- القصر، ﴿**وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ**﴾ والآيات كثيرة ومتنوعة.
- الالتفات ، **في** ﴿**نجاهم**﴾ **و** ﴿**وما يجحد**﴾.
- العنوان، وهو التوجيه إلى قانون الطفو، فالفلك تجري فوق الماء ولا تغرق.

الفصل الرابع

عظمة الخالق وتحدي المشركين

المبحث الأول: آيات مختارة تجمع بين قدرة الخالق وتحدي المشركين.

بعد بيان آيات الخلق والتكوين للسموات والأرض وما يتبع كلاً منهما؛ أردت أن أنهي بحثي هذا بآيات تجمع بين عظمة الخالق وقدرته وتحدي المشركين والكافرين في عظمة هذا الكون وأنهم هم وما يعبدون من دون الله أعجز من أن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا.

* قال الله تعالى في سورة لقمان: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ ١٠-١١- آيتان في منتهى الروعة والتحدي فيهما إتقان الصنعة وعلوها، فالسماء مرفوعة بغير

عمد ومن يقدر على ذلك إلا القادر القوي؟! وإذا ذكرت السماء فلا بد للسامع من تصور ما فيها من مظاهر كونية أقلها للإنسان العادي أن يتصور الشمس والقمر والنجوم والكواكب والشهب، وحركتها وجريانها وحدوث الليل والنهار، وإذا ذكرت الأرض فما فيها من مظاهر طبيعية تدعو للتأمل والتفكر، خصوصاً لمن تجول فيها وشهد جبالها وأوديتها وسهولها وهضابها وأنهارها وشلالاتها ونباتاتها وزهورها ومروجها، وليس الإنسان ببعيد عن سقوط أمطارها وثلوجها، بعد هذه الإشارة إلى السماء والأرض يأتي التحدي، بأن هذا من صنع الله ومن خلقه وإبداعه، فأروني أيها الذين تعبدون الحجارة والأصنام أو تأليه بعض المخلوقات التي هي لا تعدو أن تكون ذرة في عظم هذا الكون حتى وإن كانت الشمس أو القمر أو الكواكب والنجوم، بل هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فيما ارتضوه من عبادة الدون هم في ضلال واضح بين.

البلاغـــة :

- بيان عظمة الخالق فيما خلق.
- الاستعارة، حيث استعار للجبال كلمة الرواسي لبيان مهمتها في إرساء الأرض.
- الكناية، حيث كنى عن غرس الجبال في الأرض بالإلقاء، فكأنما ألقيت في طريق حركة الأرض وهي تنزاح فكانت كالوتد المثبت لها.
- الاختزال، في ﴿**وبث فيها من كل دابة**﴾ شملت كل المخلوقات بما فيهم الإنسان.
- وكذلك الاختزال في ﴿**من كل زوج كريم**﴾ فاستغنى عن ذكر أنواع النبات.
- الالتفات، في (خلق، وألقى، وبث) إلى (أنزلنا، فأنبتنا).
- الطباق، في (**رواسي**﴾ و ﴿**أن تميد بكم**﴾.
- الاستعارة ، في (دابة) حيث استعارها لكل من يدب على الأرض أو يتحرك.

- الاختصار، في ﴿**من دونه**﴾ عبر فيها عن كافة المعبودات سوى الله.

- وردت بل التي تفيد الإضراب، وهي هنا تفيد الانتقال من غرض إلى آخر.

المبحث الثاني: لفت النظر لما في السموات والأرض باختيار آيات من سورة المؤمنون جمعت عظمة الخالق في خلق هذا الكون.

ولعل المناسب لختام هذا البحث أن أورد آيات جامعة من سورة "المؤمنون" قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ**

فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾

١٢-٢٢ – آيات كريمة تبين عظمة الله في الكون وقدرته التي لا تجاريها قدرة، بل كل مخلوق في هذا الكون هزيل ضعيف ليس له من الأمر شيء، فالله تعالى يعدد نعمه على الإنسان ابتداء من خلق الإنسان وتكوينه من التراب إلى أن وضع فيه قانون التكاثر وما سخره وأعده للإنسان ليعيش في سعادة وهناء في هذه الدنيا؛ من الماء والشجر وحيوانات النقل والسفن التي سخرها وفق قانون الطفو، وفي الحقيقة إن كل ما في هذا الكون بلا استثناء مسخر لخدمة الإنسان ومنفعته وراحته، والإنسان يستفيد منها وفق طاقته ومقدرته وتطوير قدراته.

معاني المفردات:

سلالة: ما استل من الشيء وانتزع منه، سلالة مـــن

طين، أي انتزع الإنسان من الطين.

القرار المكين: الرحم، والنطفة: هي القليل من الماء وهو هنا ماء الرجل وأرى وفق العلم الحديث أن النطفة هي: ما يتكون من التقاء الحيوان المنوي من الذكر مع بويضة الأنثى. ويتطور خلق الإنسان في رحم أمه مع الزمن وفق ما رتبه الله في هذه الآيات، من النطفة إلى العلقة إلى المضغة وبعد المضغة يبدأ شكل الإنسان بالظهور إلى أن يكتمل خلقه في تسعة أشهر على الغالب. سبع طرائق: سبع سموات. ماء بقدر: أي معلوم مقداره. شجرة تخرج من طور سيناء: هي شجرة الزيتون. صبغ للآكلين: أي هذا الدهن أو الزيت هو إدام مع الخبز عندما يغمس فيه ويتلون به.

البلاغة:

- الكناية، في سلالة، وفيها نوع من الإيماء أو الإشارة إلى المنشأ الأصل للإنسان وهو آدم عليه السلام.
- الاختزال، في نطفة، والسكوت عن بويضة المـــرأة

والمباشرة بين الزوجين.

- الكناية، كنى عن الرحم بالقرار المكين، من باب ترك اللفظ إلى ما هو أجمل.
- الترتيب، في ذكر مراحل تطور الإنسان في القرار المكين.
- الإطناب، في ﴿**ثم كسونا العظام لحماً..**﴾ ففي سورة غافر- ٦٧- تجاوز مرحلة العظام إلى ﴿**ثم يخرجكم طفلاً**﴾.
- الكناية، في ﴿**خلقاً آخر**﴾ هو الإنسان السوي المختلف عن مراحل التطور التي مر بها.
- الإرصاد، ويسمى أيضاً التمكين التام- كما ذكر صاحب الإتقان- وتوقع الفاصلة في ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ وقد روي أن زيد بن ثابت كان يكتبها عندما أملاها عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال معاذ بن جبل: ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال معاذ، مم ضحكت يا رسول الله؟ قال:"بها ختمت" .

- الالتفات، في ﴿**خلقنا- جعلناه- خلقنا- أنشأناه**﴾ جاءت ﴿**فتبارك**﴾.
- التأكيد، في ﴿**ثم إنكم بعد ذلك لميتون**﴾ وكذلك ﴿**ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**﴾.
- الكناية، في ﴿**سبع طرائق**﴾ حيث كنى بها عن سبع سموات، وهي بما ورد ﴿**سبع سموات طباقاً**﴾ فهي بعضها فوق بعض.
- القسم، في ﴿**ولقد خلقنا**﴾.
- المجاز، في ﴿**فأسكناه في الأرض**﴾ بمعنى خزناه على شكل مياه جوفية.
- الإطناب، في آية ﴿**فأنشأنا لكم به جنات**﴾.
- المجاز، في ﴿**تنبت بالدهن**﴾ حيث نسب لها إنباتها بالدهن، والله هو المنبت.
- الإطناب، في ﴿**وصبغ للآكلين**﴾ زيادة وصف في فائدتها.
- الكناية، في ﴿**وشجرة تخرج من طور سيناء**﴾

كناية عن موصوف هي شجرة الزيتون، وهذا التخصيص فيه إشارة أو إيماء لفائدتها ونفعها.

- التأكيد، في ﴿**وإن لكم في الأنعام لعبرة**﴾ للتأمل فيها وأخذ العبرة في تسخيرها، وعنى بالأنعام هنا الإبل تخصيصاً.

- الكناية، في ﴿**نسقيكم مما في بطونها**﴾ كناية عن الحليب الذي يخرج من الضرع، وفيه أيضاً إيجاز عن ذكر الطعام والشراب الذي يستحيل في بطونها إلى لبن سائغ للشاربين.

- تشبيه ضمني، في ﴿**وعليها وعلى الفلك تحملون**﴾ فالفلك سفينة البحر والجمل سفينة البر، فهناك شبه مشترك في الجريان فوق الرمال والجريان فوق البحار.

- الالتفات، في ﴿**نسقيكم مما في بطونها**﴾ و ﴿**ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون**﴾.

الخاتمـــة

وبعد.. فقد تم بحمد الله تعالى هذا البحث ومن سار على الدرب وصل؛ المهم هو الدأب والمثابرة، إن استخراج الصور البلاغية من النص أمر يحتاج إلى الفهم والتبصر والرجوع إلى خبرة من سبقني وكتب في هذا الموضوع، علماً بأن كثيراً من الصور التي استخرجتها هي مما اكتسبت من خيرة البحث حيث لم أسبق إليها لأن الكتب السابقة قدمت نماذج لم تكن شاملة.

أرجو أن أكون قد وفقت في هذا البحث وحققت الهدف المرجو وأن يكون صوابي غالب على خطئي وأن أكون قد ساهمت بإثراء البحث في هذا المجال. ولا يفوتني أن أذكر بأني قدمت هذه الرسالة لنيل درجة البكالوريوس من جامعة العلوم والتكنولوجيا بصنعاء بإشراف الدكتور عبد الغني حيدر فكان لها القبول. وبالله التوفيق.

رانية محمد منير الجنباز

قائمة المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن- الإمام جلال الدين السيوطي- تحقيق: فواز أحمد زرملي- دار الكتاب العربي- بيروت- ١٤٢٥هـ.

٢- البلاغة العربية (البيان والبديع) د. وليد قصاب- دار القلم- دبي- ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣- البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع) - علي الجارم- مصطفى أمين- مطابع دار المعرفة بمصر.

٤- تفسر الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبدالله محمد بن أحمد النصارى القرطبي- تحقيق: عبد الحميد هنداوي- المكتبة المصرية- صيدا- بيروت- ١٤٢٥هـ.

٥- تفسير فتح القدير- محمد بن علي الشوكاني- مجلدان- دار الكتب العربي- بيروت.

٦- تفسير القرآن العظيم- إسماعيل بن كثير- أربعة أجزاء.

٧- تفسير الكشاف- جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري- ستة أجزاء.

٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبد الرحمن بن ناصر السعدي- تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق- مكتبة العبيكان- الرياض- ط ١٤٢٤هـ.

٩- سر الإعجاز في تنوع الصيغ المشتقة من أصل لغوي واحد في القرآن- د. عودة الله منيع القيسي- دار البشير- عمان، مؤسسة الرسالة- بيروت- ١٤١٦هـ .

١٠- القاموس المحيط – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي – تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة- بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط٨- ١٤٢٦هـ.

١١- معارج التفكير ودقائق التدبير- عبد الرحمن بن حسنى حبنكة- دار القلم- دمشق- ط ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

١٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن- محمد فؤاد عبد الباقي- دار الحديث- القاهرة- ١٤٢٢هـ .

١٣- من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم- د. حسن أبو العينين- مكتبة العبيكان- الرياض- ط٢- ١٤٢٥هـ.

١٤- الموسوعة الكونية الكبرى- د. ماهر أحمد الصوفي- مج١٣ - ج٢٠- المكتبة العصرية- صيدا - بيروت- ١٤٢٨هـ.

١٥- مفتاح العلوم- للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي- ضبطه وشرحه : الأستاذ نعيم زرزور- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط١- ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.